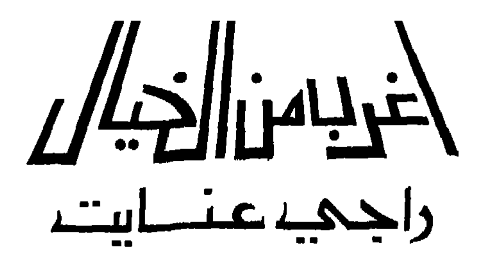


راجي عنايت

الأشباح المشاغبة
وغرائب أخرى

دار الشروق

الأشباح المشاغبة

وغرائب أخرى

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨
القاهرة . ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس . ٨٦٧٥٥٥ - تلكس : SHOROK 20175 LE

الأشبَاح المشاغبة

الأشـبَاح المشـاغِبـة

فى شتاء عام ١٩٦٧ ، حلت الفوضى على مكتب أحد المحامين المرموقين ، فى مدينة روزينهايم بجنوب ألمانيا .

أول إرهاص للأحداث الغريبة كان خلال الصيف . . بدأت تليفونات المكتب عبثها ولهوها ! . .

فى بعض الأحيان كـانت أجـراس التليفـونـات تـدق جميعهـا فى نفس الوقـت ، دون أن يكون هنـاك أى متكلم على الجانب الآخـر منهـا . وخـلال أحـاديث العمل التليفونية ، كان المتحـدث يسمع أصوات طقطقة وتكتكة تشتت فكره .

قـدم مـديـر المكتب شكوى إلى شركـة التليفـونـات . فاوفـدت الشركة بعض مهندسيهـا لإصلاح الخلل إلا أنهم

لم يكتشفوا أى خلل فى الأجهزة أو التوصيلات . وكل ماقالوه عند انصرافهم هو أن الخطوط التليفونية للمكتب فى أحسن حال .

ولكن ، عندما تواصل العبث ، وتواصلت الشكاوى . أوفدت الشركة مجموعة من أفضل مهندسيها . أمضت هذه المجموعة عدة أسابيع فى المراجعة الدقيقة . إلا أن اللغز زاد غموضًا عندما أظهرت الأجهزة الهندسية أن عشرات الاتصالات تتم من أجهزة تليفون متوقفة عن العمل ، لأسباب خاصة بالشركة . بالإضافة إلى أن بعض التليفونات كان يجرى طلب ارقامها بسرعة غير طبيعية . وبشكل يثير الدهشة . وفى أحد الأيام ، أظهرت عدادات شركة التليفونات أن رقم ١١٩ ، وهو رقم الساعة الناطقة . جرى طلبه ٤٦ مرة فى ١٥ دقيقة ! .

مع تصاعد هذه الأعراض ، بدأت المسألة تدخل فى طور جديد .

أدوات مكتب المحاماة بدأ بعضها يتململ ، ويتحرك حركات غريبة . . مصابيح النيون بدأت تدور حول

نفسها ، وتخرج من أماكنها . . مصابيح الإضاءة العادية بدأت تنفجر . . الأدراج كانت تخرج من مكاتبها . . ثم أخذت اللوحات المعلقة على الحائط تدور حول نفسها . التيار الكهربائى كان ينقطع ويعود بلا سبب أو منطق . . باختصار ، عمت الفوضى الشاملة مكتب المحامى .

كل الذين تصدوا لبحث أسباب هذه الظواهر ، خبراء هندسة التليفونات والكهرباء ، وفريق علماء الطبيعة الموثوق بهم ، اضطروا آخر الأمر إلى الاعتراف بعجزهم . لم يجدوا أسباباً من أى نوع ، يمكن أن تعزى إليها هذه الأحداث غير العادية . غاية ما توصل إليه هؤلاء ، الذين كان قد وصل عددهم إلى ٤٠ خبيرًا ، هو أن هذا الشغب والفوضى ، سببها « قوى يتم التحكم فيها بشكل ذكى . تميل إلى مراوغة الباحثين » ! . .

شريرة ، ماكرة ، حقودة !

أخيرًا ، تم استدعاء دكتور هانز بندر ، وهو من أكبر

البـاحثين فى مجال الظـواهـر البـارا سيكلـوجيـة (أى التى تتصل بالقدرات غير العادية للعقل البشرى) .

بعكس غيره من الخبراء ، استطـاع دكتور بنـدر ، ومن اصطحبـه معـه من مسـاعـدين ، أن يصلـوا مبـاشرة إلى تشخيص سبب هـذه المتـاعب . نتيجـة لأنهم كـانـوا قـد تصدوا لدراسة العديد من مثل هذه الوقائع .

قالوا : إن مسبب هذه الأحداث فى مكتب المحامى هو أحد الأشباح المشاغبة ، ويطلقون عليها فى الألمانية (بولتر جيست) .

فى عـام ١٩٤٥ ، وصف البـاحث البريطـانى الشهير هنرى برايس هـذه الأشباح المشاغبة ، بعـد دراسة حالات «فى جميع البلاد والأزمان » ، قـائلاً « إنها شريرة ، مخربة . تميل إلى إحداث ضوضـاء وجلبة ، قاسية غـريبة الأطوار. يمكن وصفهـا بـاللصـوصية ، استعـراضيـة ، تفتقـد أى هـدف لنشاطهـا ، مـاكـرة ترفض أى نـوع من التعـاون . حقـودة ، متهـورة ، مكـايـدة ، بـلا خلـق ، ألاعيبهـا لاتنفد . . » .

كـذلك قـام دكتور نـانـدور فـودور ، أحد معـاصرى د. بـرايس ، بتوضيـح الفرق بين الأشبـاح عـامة ، وهـذه الأشبـاح المشـاغبـة ، واصفـا الأخيرة بأنها « أرواح مثيرة للضـوضـاء ، تحدث بشكل متكرر نـوعـا غير عـادى من الاضطرابات ، وتتصف شخصيتهـا بالحقد . وهى تنشط فى أماكن معينة ، وفى حضور أشخاص معينين ، يتمتعون بحساسية خاصة ، وهـم غالبا لا يثيرون الشبهات . . إنه نشاط يلتقى فيه مكان مسكون ، بشخص مسكون » .

عميـــل الأشبـاح ..

فى مكتب روزنهايم ، التقط د . هـانز بنـدر الشخص المسئول عن تنشيط هـذه الأحداث بـلا كثير عناء . لاحظ أن الظـواهـر تنشط فى حضور واحـدة من كتبـة المكتب . شـابة فى التـاسعـة عشرة من عمرهـا ، تـدعى أنـا ماريـا شنيدر. فالهدوء يسود كلما كانت بعيدة عن المكتب ، لكن ما إن تصل حتى تبدأ الظواهر الغريبة فى الحدوث .

على سبيل المثال ، كانت المصابيح تتأرجح عندما تسير تحتهـا . . وإذا سارت قـريبًـا من الحائط دارت اللوحـات المعلقة حول نفسهـا كالمروحة . وقد وصلت هـذه الظواهر إلى نهايتهـا ، عنـد تـركت أنـا مـاريـا عملهـا فى مكتب المحاماة . . وعاد الهدوء التام .

العديـد من ظواهـر الأشباح المشـاغبة ـــ وليس كلها ـ يكـون محورهـا شخصـا صغير السن ، يسمـونـه عميل الأشباح المشاغبة . معظم عملاء الأشباح المشاغبة يكونون من الفتيـان والفتيات ، وبخـاصـة فى سنوات المراهقـة . يفتقدون السعادة فى حياتهم ، ويشعـرون بالإحباط ، على الأقل فى وقت حـدوث الوقائـع ، وهذا كان حـال الفتـاة أنا ماريا .

ومع ذلك ، فإن مثل هـذه الملاحظـات لا تعمل أكثـر من تحديد بعض الخصـائص المميزة لـلأشباح المشـاغبة . ولكنها لا تفسر الظاهرة .

سيارة تتحرك بلا سائق

وكل من يهتم بالبحث عن حقيقة ظاهرة الأشباح المشاغبة ، سيجد حصيلة كبيرة من الوقائع والمواد التى يمكن العمل من خلالها .

الكاتب البريطانى ومتخصص فن المكتبات مايكل جوس ، أعد قوائم مصنفة من تقارير شهود العيان ، ومن الكتب والمقالات التى نشرت حول الموضوع باللغة الإنجليزية . هذه القوائم ملأت مجلدا من ٣٥٠ صفحة . يضم أكثر من ألف واقعة ، من مختلف أنحاء العالم .

من أفريقيا ، حيث اشتكت عائلة من السيخ فى كمبالا من « الأشياء التى تتقافز فى الهواء ، والفوضى التى تشيع فى المكان » ، خلال عام ١٩٦٦ . ومن يوغوسلافيا . حيث حظيت نشاطات أحد الأشباح المشاغبة ، والذى تخصص فى إلقاء الأحجار ، بتغطية إعلامية واسعة عام ١٨٨٥ .

ومن بين جهود حصر وقائع هذه الظاهرة ، دراسة أشرف عليها معهد الأبحاث النفسية ، فى أكسفورد .

وتضمنت استجابـات من جميع أنحاء بريطـانيا . من بين ماورد فى تلك الدراسة ، واقعة أحدثت فيها مطفأة سجائر ثقيلة انبعاجـاً فى مائدة خشبية ، نتيجة لتقافـزها . وواقعة جهاز عزف الموسيقى الذى يعمل بـالعملة ، والذى إعتاد أن يطلق موسيقاه بعد منتصف الليل ، دون وجود أحد فى المكـان . ووقـائع متعـددة عن أوان فخـاريـة تتحطم من نفسها ، وزجاجـات زيت تميل ـ بلامبرر ، لكى ينسكب مـا بها من زيت ، وسيـارة يقال إنها تحركت دون سـائق فى الممر الذى تترك فيه .

حـــيرة الشرطـــة ..

النظـرة المدققة للـوقائع ، تفيـد أن الأشبـاح المشاغبـة لاتتعدد أشكال ظهورهـا فقط ، ولكنها أيضًا تشترك فى أن أسبـاب اختيـارهـا لضحايـاهـا تتسم بـالغمـوض ، وأن الاختيار يكون فى جميع الأحوال أشبه بالنزوات .

شـارع ثـورنتون ، فى بـرمنجهـام ، يعتبر من الشـوارع الهادئة فى ضواحى المدينـة الإنجليزية . ظل سكـان خمسة

منازل في ذلك الشارع ، لعدة سنوات ، يبحثون بجدية . ويتجشمون العناء الشديد ، في محاولاتهم اليائسة للوصول إلى إجابة عن سؤال محير : لماذا هم ، دونا عن باقي أهل ثاني أهم المدن البريطانية ، قد وقع عليهم الاختيار ، لكي تتعرض مساكنهم كل ليلة تقريبًا ، لقذائف الحجارة الكبيرة ، والتي لا يعرف أحد مصدرها ؟ . . لقد تكرر تحطيم نوافذ المساكن الخمسة ، وقرميد سقوفها . مما دعا سكانها إلى اتخاذ احتياطاتهم ، من خلال إجراءات مكلفة .

إذا نظرنا إلى واجهة هذه المنازل التي تطل على الشارع . لن نعثر على أي شيء غير طبيعي إلا أن الأمر يختلف ، إذا اتجهنا إلى الجانب الخلفي فيها . . سنجد النوافذ وقد حلت محلها ألواح خشبية ثقيلة ، وسنجد شبكة من الأسلاك المجدولة ، تمتد لتغطي جدران المنازل ، لحمايتها من آثار ارتطام الأحجار الغريبة بها .

بعد التأكد من أن القذف بالحجارة لا يرجع إلى نشاط تخريبي من إحدى العصابات ، أو إلى شقاوة بعض الصغار ، استدعى أهل شارع ثورنتون رجال الشرطة .

فى أول الأمر ، بدت المهمة بالنسبة لرجال الشرطة هينة وسهلة . ولكن بعد أن أمضوا عدة شهور فى البحث والاستقصاء المكثفين ، فشلوا فى كشف سر ذلك الذى يحدث . فأحيل الموضوع برمته إلى الضابط الأول ، وكبير مفتشى الشرطة ، لين تورلى .

قام تورلى باستقدام فريق من ضباط الشرطة ذوى الخبرة ، إلى شارع ثورنتون ، وزودهم بأحدث أجهزة حل ألغاز الجرائم . بعض هؤلاء الرجال أمضوا الليالى الطويلة فى الحدائق المحيطة ، بعد أن حشروا أنفسهم فى أكياس النوم ، وسط شتاء كان من أبرد ما عرفته بريطانيا . وفى هذا يقول الضابط دافى ماكموهان ، متذكرا تلك الليالى المريرة ، التى لم يكن يدفئه فيها إلا رشفات من الحساء الساخن ، يتناولها من الزجاجة التى يحفظ بها الحساء . يقول إنه بمجرد أن رفع غطاء الزجاجة ، تجمد الحساء تماما .

الأحجار المغسولة ..

من وقت لآخر ، كانوا يسمعون صوت ارتطام حجر

بالمبانى ، ممزقا الصمت السائد ، ومبددا حالة السأم . لكنهم لم يعثروا أبدًا على قرينة تفيد فى معرفة من أو لماذا أطلق ذلك الحجر ؟ أو كيف انطلق إلى المبانى ؟ لم تستطع آلات التصوير الحساسة ، والقادرة على التقاط الصور فى الظلام أوتوماتيكيا أن تصل إلى نتيجة . وكل ما تم رصده من حركة عن طريق تصوير الفيديو بالأشعة تحت الحمراء. كان مصدره حركة الفئران والجرذان والأرانب المتجولة . وفى بعض الأحيان ثعلب منهك .

أما داخل البيوت ، فقد كان أصحاب البيوت . الذين أنهكت أعصابهم ، يحاولون الحصول على قسط من النوم . فى انتظار ارتطام الحجر التالى .

وفى نهاية عام ١٩٨٢ ، كان المفتش العام تورلى وفرقته قد أمضوا ما يصل إلى ٣٥٠٠ ساعة عمل ، فى بحث غير مثمر . خلال ذلك الوقت ، كان قسم الشرطة قد تمكن من حل لغز خمس حالات قتل ، لكن ملف شارع ثورنتون بقى مجمدًا ، ومثيرًا للإحباط . وفى تصريح لتورلى إلى أحد المراسلين الصحفيين ، قال « أنا فى حيرة مطبقة . . لقد

جـربنا كـل ما نعـرفـه ، دون أن نتوصـل إلى مصدر هـذه الأحجـار . وبعـد عامين من هـذا ، لم تكن الشرطـة قـد حققت أى تقدم فى هذه القضية .

وحتى مـا تم التوصل إليـه من الحقائق ، كـان يقود إلى المزيد من الحيرة والغموض .

الأحجار المتطايرة ، كـانت من نفس نوع الأحجار التى يمكن أن تجدها فى جميع حدائق شارع ثورنتون ، ومع ذلك فالأحجار التى ارتطمت بالمنازل لم تكن تحمل أى بصمات . ولا أى علامـات خاصة . لكن ، من الـواضح أنها كانت جميعا نظيفة تماما ، ليس عليها أى أثر للتربة . عن هذا . قال خبراء الطب الشرعى ، إنها تبدو كما لـو كان هناك من قام بغسلها ! .

أيا كان ما تجمع من معلومات فى حالة شارع ثورنتون . فاننا نتبين منها سمات الهجوم التقليدى للأشباح المشاغبة .

ولا شك أن إلقاء الأحجـار ، قد حدث بشكل متـواتر على مدى القرون ، وقد خصص دكتور فودور فصلاً كاملاً

من دائرة معارف علوم الخوارق التى أعـدها لهذه الظاهرة . بادئا بحالة تعود إلى عـام ٨٥٨ الميلادى ، فى مدينة صغيرة اسمهـا بنجين على نهر الـراين ، جاء فى وصفهـا « كـانت الأحجار تتطاير ، بفعل أشباح شريرة مشاكسة ، أو هكذا اعتقد أهل المدينـة . هذه الأحجـار كانت تـرتطم بحوائط المساكن البسيطة ، وكأنها دقات المطارق » .

حجر .. أم ريشة طائر ؟

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٨٢ ، نشرت جـريـدة نـاشيـونـال انكويرر الأمـريكية وصفا لواقعة اقتحام الأشبـاح المشاغبة لأسرة من بيليتز ، بأمـريكا الوسطى . قـالت الجريدة . . لقد انهارت الحياة الهادئة التى كان يعيشهـا رينالدور سالام (٦٣ سنـة) ، وزوجتــه فيليشيـا (أيضًــا ٦٣ سنـة) . وحفيدتهما ماريا (١٣ سنـة) . . بينما كانت فيليشيا تسير مع حفيـدتها ماريـا ، فى الطـريق إلى قريـة سـان أنتونيـو المجـاورة ، انـدفعت نحـوهما فجأة مجموعـة متتـابعـة من الأحجار الصغيرة .

ترتعش فيليشيا ، وهى تتذكر ما حدث قائلة « كان شيئًا مرعبًا . . بدا الأمر كما لو كنا هدفا لأحجار يصوبها نحونا عدد من الناس ، لكننا لم نر أى إنسان حولنا على امتداد البصر . . لقد سادنا خوف شديد . . » .

بعد هذه الواقعة ، كانت العائلة تتناول طعامها ذات مساء ، فبدأ رشقهم بالحجارة ، وهم داخل حجرة مغلقة . . وعندما تكررت الهجمات ، لم يجدوا بدا من ترك البيت ، والانتقال للإقامة فى منزل بعض الأقارب المقيمين فى المدينة .

قالت الجريدة إن أحد القساوسة الأمريكيين ذكر لها ماشهده هو شخصيًا من الوقائع الغريبة المتصلة بتلك العائلة . . قال القس « بينما كانت العائلة فى كنيستنا . كانت الأحجار تنهمر ، من ناحية الحائط الذى يبلغ سمكه أكثر من نصف متر ! . . وقد طار أحد هذه الأحجار متجهًا ناحيتى . . لكن عندما ارتطم بجسمى ، كان وقعه لا يزيد عن وقع ارتطام ريشة طائر !؟ والغريب ، أن معظم وقائع قذف الأحجار التى تنسب إلى

الأشباح المشاغبـة ، لم يرد فيها ما يفيـد إصابة أى شخص بإصابـات جادة . . الثابت أن هذه الحجـارة ـ لسبب غير معروف ـ ترتطم بالبشر فى رقة وخفة .

أشباح تعض وتخمش !

لكن هذا لا يمنع من أن تتضمن بعض وقـائع الأشباح المشاغبة ، إصابات جادة .

أورد الباحث والعالم الانجليزى المعروف هارى برايس . نتائج تقصيه لواقعة الفتاة الرومانية اليانور تسوجان ، والتى كانت تعيش فى فيينا . منذ طفولتهـا المبكرة ، بدت اليانور وكأن لديها جاذبية خاصة لنشاط الأشباح المشاغبة . لكن الذى لفت نظر برايس هو آثار الالتهاب التى كانت تظهر على جسدها من وقت لآخر ، والتى كـان سببها ـ على حد قول الخبراء الـذين فحصوها ــ الأشباح المشـاكسة ، التى تعض وتخمش !

فى ربيع عـام ١٩٢٦ ، سافـر بـرايس إلى فيينا ليقـابل اليـانـور . وبعـد ذلك كتـب يقـول « فى فيينـا ، وخـلال

الدقـائق الأولى من إجراء ملاحظاتى، المبـدئية ، أطلقت اليانـور صرخة حـادة قصيرة تعكس المهـا . وعلى الفور ، قامت راعيتهـا الكونتسة فاسيلكو بـرفع الكم الأيسر لرداء الفتاة ، فظهـرت لمسافـة أعلى الكف على الذراع عـلامات أسنان ، ست علـوية وخمس سفليـة ، ترسم كلهـا شكلاً بيضاويا . وهو نفس الأثر الذى نحصل عليه إذا قام أحد منا بعض ذراعه » . .

ولكى يبـدد أى شكوك حـول أصـالـة الواقعـة ، أورد برايس شهادة أحد الذين التقوا بـاليانور ، الكولونيل هـ . هاردويك ، الذى قال عقب مقابلة اليانور فى لندن ، أثناء وجودهـا هناك « فى الساعـة السادسة والثلث مسـاء وبعد تنـاول الشاى ، كـانت اليانـور تـربط صندوقـا ، عندمـا أطلقت شهقـة ، ومـدت يـدهـا اليمنى نحـو معصمهـا الأيسر، لقد ظهرت علامات الأسنان على المعصم ، كذلك ظهرت آثار كالخمش ، أو الخربشة ، على ذراعها اليمنى . وعلى خديها وجبهتها . وبعد ذلك بقليل ، ظهرت سلسلة من العـلامـات ، أشبـه مـا تكـون بـالحروف على ذراعهـا

اليسرى ، تحولت كلهـا إلى أورام نتيجة الالتهـاب ، خلال ثـلاث أو أربع دقـائق ، ثم بـدأت تختفى بعـد ذلك بالتدريج . لقد كانت الفتاة تحت رقابة مشددة ، ولا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك بنفسها ، بوسائل طبيعية» .

المفتاح الجديد اللامع

ومن بين الـوقـائع الهامـة التى يـوردهـا فـرانك سميت لظواهر الأشباح المشاغبة واقعة شيرلى هيتشينز .

كانت شيرلى تبـدو لكل من يراها فتاة عـادية ، تعيش مع والـديها ، فى أى المنـازل النمطيـة ، التى يتكـون منهـا صف البنـايـات ، التـى تتجـاور على امتـداد شـارع وايكليف ، فى إحـدى منـاطق سكن الطبقـة العـاملـة فى لندن . وشأنها شأن العـديد من صديقـاتها ، تركت شيرلى دراستها الثانوية فى السنوات الأولى منها ، لتلتحق بعمل ، وكانت تبـدو سعيدة بالفـرصة التى اتيحت لها لكى تعمل كبائعة فى أحد متاجر لندن .

وفى عـام ١٩٥٦ ، بعد عـدة أشهر من عيـد ميلادهـا الخامس عشر ، لم تعد شيرلى تلك الفتاة العادية .

بـدأت متاعبهـا ذات صبـاح ، عندمـا استيقظت من نومها لتجد مفتاحا جديـدًا لامعا ، فوق ملاءة سريرها . لم تكن قـد رأت ذلك المفتاح مـن قبل ، كما لم يكن والداهـا يعلمان عنه شيئـا ، بـالإضـافـة إلى أنـه لم يكن يصلح للاستخدام فى أى باب من أبواب البيت .

وخلال الليـالى التاليـة ، بدأت شيرلى تشعـر بالغطـاء يجذب من فوقها بعنف وهى نائمة ، وفى نفس الوقت كان القرع المدوى يتواصل على حـائط حجرتها . وخلال النهار كان يصاحب ذلك القرع ، نقر وخمش فى أنحاء أخرى من البيت ، بـالإضافـة إلى تحرك بعض قطع الأثاث فى أنحـاء المكان بطريقة غامضة .

بعد عـدة أيام مـن هذا ، كانـت الفتاة فى حـالة إنهاك شـديدة ، نتيجـة لقلة النـوم . وهكـذا ، تم ترتيب الأمـر بحيث تقيم ليـلاً فى منزل الجارة السيـدة ليلى لاف ، حتى

تنال قسطا من الراحة ، بعيدًا عن ذلك الذى يحدث فى بيتها . إلا أن ذلك الذى كان يحدث « لحق » بها . . !

الساعة المنبهة ، وتحف الصينى ، الموضوعة فوق الرف فى منزل السيدة ليلى ، بدأت تتحرك من نفسها فوق الرف ، ودون أن تمسها يد . . أما قضيب تحريك النار فى المدفأة ، فقد انتقل من مكانه إلى الحائط المقابل . . وأثناء نوم شيرلى ، انتزعت ساعة يدها من معصمها ، وألقيت على الأرض

ارتفاع الجسد فى الهواء

قرر والدها ، الذى يعمل سائقًا لعربات النقل فى لندن ، فى أعقاب ذلك ، أن يجلس ذات ليلة مع ابنته . ليرى بنفسه ذلك الذى يحدث لها . كما حضر شقيقه ليسهر معه .

نامت شيرلى فى تلك الليلة ، فى حجرة نوم والديها ، بينما جلس الأب والعم يرقبان . لفترة قصيرة ، بدا كل شىء هادئًا . . لكن مالبث أن بدأ رنين النقرات يهز

السرير الـذى كانت تنام فـوقه . كانت شيرلى مـا تزال فى حالة يقظة كاملة ، ترقد وقد أرخت ذراعيها فوق الغطاء . بعد فترة صاحت تنـادى والدها وعمها ، قـائلة إن الغطاء بدأ يتحـرك من فوقهـا . أسرع الرجـلان فأمسكا بـالغطاء لإبقائه فى مكانه ، لكنهما شعرا بمقاومة شديدة لجهديهما . عنـد الطـرف الآخر من الفـراش أثنـاء صراعهما مع القـوة الخفية، رأيا ـ مع الوالدة التى انضمت إليهما ـ أن الفتاة قد تخشب جسـدهـا . ولـدهشتهـم البـالغـة ، بـدأ الجسـد المتخشب للفتاة يرتفع فى الفضاء فوق السرير ، لمسافة ١٥ سنتمترًا تقريبًا، دون وجود أى سبب معقول لذلك .

فى محاولة لمواجهـة الخوف الذى شعروا بـه ، تقدم العم وحمل جسد الفتاه السابح فى الهواء بعيدًا عن الفراش . أما عن شيرلى نفسها ، فقـد كانت خلال ذلك فى غيبـوبة . وقـد قـالت فيها بعــد إنها شعـرت بضغط هـائل فى وسط ظهرها، يرفع جسدها إلى أعلى .

حالة ارتفاع الجسد فى الهواء لم تتكرر بعد ذلك ، ويبدو أنها كانت تشكل ذروة الأحداث الغريبة ، ذلك لأنه ابتداء

من صباح اليوم التالى ، اقتصرت الظواهر الغريبة على أحوالها الأولى ، على شكل أصوات النقر . لقد مضى ذلك النقر مع الفتاة ، إلى أى مكان تذهب إليه ، حتى فى الحافلة التى كانت تنقلها إلى عملها .

وفى المتجر ، ألحت عليها زميلاتها بعرض نفسها على طبيب العمل . ورغم ما أبداه الطبيب من تشكك أول الأمر ، إلا أنه اقتنع بعد ذلك بأن « هناك شيئًا غريبًا يجرى» ، عندما بدأ صوت النقر يتردد فى عيادته .

كان الطبيب منشغلاً بحل هذا اللغز ، عند ما حدث بعد شهر تقريبًا من بداية الأحداث عندما عثرت شيرلى على المفتاح فوق فراشها ، أن توقفت كل الظواهر من تلقاء نفسها . . ولم تظهر ثانية بعد ذلك .

واليوم ، بعد مرور كل هذه السنين ، يكون من المستحيل الحكم على ما حدث فى شارع وايكليف بموضوعية كاملة ، لأن كل ما بقى لكى نعتمد عليه فى هذا الصدد ، مجرد تقارير صحفية ، وأحاديث قام بها الصحفيون مع الشهود ، كأدلة على الواقعة . وعلى أى

حـال ، فإنـه بـالاعتماد على هـذا ، يمكننـا أن نحكم بأن شيرلى وأفـراد عـائلتهـا والسيـدة ليلى والطبيب الـذى فحصها ، كانـوا جميعًا أميل إلى الاعتماد على عقولهم . ، كما أن أيا منهم لم يمر بخبرات خارقة من قبل .

جفرى العجوز !

من بين الخصـائص المشتركـة لمعظم وقـائع الأشبـاح المشاغبة ، أنها تظهر فى بيت يعيش فيه مراهق أو مراهقة . ومن ثم ، يبدو ممكنا القول بأن حالة المراهقة فى حد ذاتها . تـولد ــ بطريقـة مـا ـ القـوى التى تشيع ظـاهرة الأشبـاح المشاغبة .

تـوفـرت هـذه الخاصيـة ـ بـالتأكيـد فى واقعـة أشبـاح «ويسلى» .

كان جون ويسلى ، مؤسس كنيسة الميثوديست ، صبيا فى الثالثة عشرة من عمره عـام ١٧١٥ ، عندما بدأت تتردد فى بيت العائلة ، فى مدينة إبـو يرث ريكتورى ، بلينكولن شايـر ،بانجلترا ، ضـوضاء وطـرقات غـريبة متـواصلة ،

سمعها الجميع . كـانت عـائلـة ويسلى من العـائلات الكبيرة. فإلى جانب جون ، كان البيت يضم ١٨ طفلاً وشابا آخر ، من بينهم مولى (٢٠) ، وهيتى (١٩) . ونانسى (١٥) ، وباتى (١٠) ، وكيزى (٧).

وقد وصفت والدة جون بداية الأحداث فى خطاب أرسلته إلى شقيقه الأكبر صمويل قائلة « فى بداية ديسمبر. سمعت الخادمة أصواتا غريبة خلف باب حجرة الطعام . حشرجات مقبضة كالتى تصدر من شخص يلفظ أنفاسه الأخيرة » ، وعندما نظرت الخادمة خلف الباب لم تجد أحدا ، أو شيئا غير عادى .

فى اليوم التالى ، سمع الجميع أصوات دقات متنوعة . وفى اليوم الذى يليه ، سمعت مولى حفيف رداء حريرى يمرق قريبًا جدًا من مكانها . وفى نفس المساء ، سمع الجميع نقرات على مائدة الطعام ، كما سمعوا وقع أقدام على الدَّرج . بعد ذلك اليوم ، أضيفت ضوضاء جديدة . أصوات مهد يتأرجح ، وصرير طاحونة هواء ، وصوت

نجار يسوى ألواح الخشب . وقـد دأبت الأشباح المشاغبة على مقاطعة الصلوات التى يقوم بها أفراد العائلة .

بالتدريج ، بدأت عـائلة ويسلى تعتاد ذلك التشويش والشغب ، إلى حد أنهم على سبيل الفكـاهة ـ أطلقوا على ذلك الشبح المشــاغب اسم « جفـرى العجــوز » . وقـد سجل جـون ويسلى فى مذكـراتـه جانبـا من وقـائع الشبح المشـاغب ، فقـال : لم تكن كيــزى تجد متعـة أفضل من ملاحقة جفرى العجوز من غرفة إلى غرفة !!

فجأة . . بعد زيارة استمرت لشهرين ، أختفى جفرى العجوز من منزل عائلة ويسلى ، وعاد الهدوء من جديد .

هذه الـواقعة اجتـذبت ـ فى حينها ـ انتباه العـديد من العلماء ، ومن بينهم جوزيف بريستلى ، الزميل فى الجمعية الملكيـة لتطـويـر العلـوم ، ومكتشف غـاز الأوكسجين . عكف بريستلى على دراسة ظواهـر تلك الواقعة ، ونشر فى عـام ١٧٨٤ ، نتائج بحثـه فى المجلـة الأرمينية . وقـال فى ذلك المقال إنه يشتبه فى أن هيتى ويسلى كان لها دورها غير الشعورى فى الظاهرة . وقال بريستلى ، إنه من الأمور التى

لها دلالتها ، أن الفوضى والشغب كانا مركزين حول سرير هيتى ، وكانت هيتى هى الوحيدة التى ترتعش فى نومها .

متاعب أسرتى ..

كانت واقعة ويسلى هذه نمطية فى معظم وقائع الأشباح المشاغبة ، من حيث عدم وقوع أى أذى بالنسبة لأهل البيت .

لكن عائلة ويسلى كانت محظوظة ، لأن جيفرى العجوز قصر نشاطه على إصدار أصوات الضوضاء . لأن العديد من وقائع الأشباح المشاغبة ـ كما رأينا فى حالة الرومانية اليانور ـ تتضمن ضربات مخربة وأوانى محطمة . وأحيانا إيذاء للبشر .

مثال ذلك ، تلك الحالة الاستثنائية ، التى واجهتها عائلة بيل . حيث واصلت قوة شريرة تعذيبها لأفراد عائلة بيل ، التى كانت تعيش فى ولاية بيتسى ، لما يقرب من أربعة أعوام .

لم يكن تعبير الأشباح المشاغبة معـروفا على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الأمريكيـة عام ١٨١٧ ، عندما بدأت أحداث تلك الواقعة . ومن ثم ، لم يكن بإمكان عائلة بيل أو جيرانها أن يعرفـوا اسما يطلقـونـه على الكـوارث التى زحفت عليهم .

كان جون بيل مزارعا غنيا ، محبوبا ومحترما من جيرانه . يعيش مع زوجته لوسى وأبنائه التسعة ، فى بيت كبير وسط مزرعته ، تحيط به مجموعـة من المبانى الإضافية ، ومساكن العبيد . عندمـا تفجرت أحداث هذه الـواقعة لأول مرة . كانت بيتسى . التى احتلت مكانـة خاصة فى الأحداث . فتاة قوية متماسكة فى الثانية عشرة من عمرها . أما ريتشارد وليا مز بيل ، الذى سجل تفاصيل الواقعة فى كتاب يحمل اسم « متـاعب أسرتى » فقـد كـان فى ذلك الـوقت فى السادسة من عمره .

بدأت الفـوضى والشغب بنقـرات وخربشـات ، يبدو أنها آتيـة من خـارج حوائـط ونوافـذ البيت ، ثم انتقلت بعـد ذلك لتصـدر من داخل البيت ، على شكل صـوت

ضوضاء مزعجة فى أعمدة الأسرة ، وخربشات فى خشب الأرضية ، وضربات على السقف . وتزايدت الضجة بالتدريج ، حتى بدت آخر الأمر كما لو كانت تهز البيت هزًا . كان الشبح المشاغب يتفنن فى إضافة أشكال جديدة للجلبة باستمرار ، فوصل الأمر إلى قلب المقاعد ، وقصف السقف بالحجارة ، وإصدار أصوات جر سلاسل ثقيلة على الأرض .

وفقا لما أورده ريتشارد وليامز فى كتابه ، كانت الضجة تستهدف إزعاج شقيقته بيتسى أكثر من أى فرد آخر من أفراد العائلة .

ثم بدأت الأشباح المشاغبة فى استعراض قوتها العضلية . يقول ريتشارد إنه استيقظ ذات ليلة على شىء يجذبه من شعره ، « . . وعلى الفور صرخ جويل (أحد الأطفال) صرخة رعب مطبق ، ثم سمعنا صرخات بيتسى فى حجرتها ، التى كانت تعانى من شىء يجذب شعرها طوال بقائها فى فراشها . . » .

مشاغبة الأشباح المشاغبة !

حتى ذلك الحين ، كانت العائلة تحتفظ بمتاعبها الغريبة لنفسها .

لكنها بدأت بعد ذلك تطلب مشورة صديق وجار . هو جيمس جونسون . استمع السيد جيمس بنفسه إلى الجلبة فى تركيز شديد . ثم قرر أنها تتم بشكل ذكى ، وأنها ليست عشوائية . فى مواجهة ما يحدث ، قام جيمس ببعض الممارسات وتلاوة التعاويذ . . فتوقفت الظواهر لبعض الوقت .

ولكن ، عندما عادت الأشباح المشاغبة إلى ممارسة نشاطها من جديد ، فعلت ذلك بعزم وتصميم متجددين، وركزت على بيتسى . . إلى حد آثارة قلق والديها . كانت الأشياء تلطمها على وجهها ، تاركة آثارًا قرمزية على خديها، وكانت الأشباح المشاغبة تجذب شعرها بقوة ، إلى حد أنها كانت تطلق صرخات الألم .

عندما وصل الأمر إلى هذا الحد ، أصبح جيمس مقتنعا أن الذى يفعل هذا ـ أيا كان ـ يمكن أن يفهم لغة البشر . واقتنع بإمكان إجراء اتصال به . فنصح بيل صاحب البيت بدعوة المزيد من الجيران ، ليصنعوا ما يشبه لجنة تحقيق وبحث . ولسوء الحظ ، يبدو أن وجود هذه اللجنة قاد إلى المزيد من الأذى ، وليس العكس .

لقد انبهر أعضاء اللجنة بالظواهر التى عاينوها . ولشعورهم بإمكان الاتصال بالأشباح المشاغبة ، دعوها إلى « أن تدق على الحائط ، وأن تتلمظ بأفواهها ، إلى آخر ذلك ، وكان نتيجة هذا أن الظاهرة أخذت تتضخم ! «هكذا قال ريتشارد وليامز فى كتابه . لقد بدأت الأشباح المشاغبة فى إلقاء العصى والأحجار على أبناء عائلة بيل . وهم فى طريقهم إلى المدرسة ، أو عند العودة منها . ومن الواضح أن الأطفال ما لبثوا أن أصبحوا متعودين على هذا . وبدأت المسألة تتحول بالنسبة لهم إلى لعبة طريفة . عندما كانت تلقى نحوهم عصا ، يلتقطونها ويعيدون قذفها فى الاتجاه الذى أتت منه . . .

الألفاظ الخارجة الجارحة

حتى الآن ، كانت الأشياء التى تحدث غير شديدة الضرر ، إلا أن الأشباح المشاغبة بدأت بعد ذلك تصبح أكثر عدوانية وعنفا بين الحين والآخر ، كانت تصفع أهل البيت على وجوههم ، فكانوا يشعرون بما يشبه أثر ارتطام القبضة بوجوههم .

وفى نفس الوقت ، بدأت بيتسى ـ التى كانت دائماً قوية ـ تعانى من نوبات إغماء ، ومصاعب فى التنفس . وكانت كل نوبة من هذه النوبات تستمر لما يقرب من نصف ساعة . خلال هذه الهجمات على بيتسى ، كانت الأشباح المشاغبة تلتزم الصمت ، ولكن بمجرد أن تستجمع بيتسى قواها ، تبدأ الأشباح فى الصفير والحديث ثانية . كان صوتها فى البداية خافتا ومدغما ، غير متضح المعالم . بعد ذلك ، بدأ يتحول إلى همس منخفض ولكنه متميز .

ولأن الأصوات لم تكن تظهر أبدا ، فى الوقت الذى تغيب فيه بيتسى عن الوعى خلال النوبات التى كانت

تصيبها ، قال البعض باحتمال أن تكون بيتسى ذاتها هى مصدر الأصوات ، على طريقة المتكلمين من بطونهم . لهذا فقد عمد أحد الأطباء إلى وضع يده على فم بيتسى ، ثم ما لبث أن أعلن عدم وجود صلة بينها وبين تلك الأصوات .

كان ما نطق به الشبح المشاغب فى البداية ، مرتبطا بالدين . لقد أظهر مقدرة مدهشة فى تكرار مراسم الأحد لاثنين من القسس المحليين ، كلمة بكلمة ، إلى حد تقليد متقن لصوت كل من القسين . وفى تعليق للمحلل النفسى ناندور فودور على هذه الحالة ، قال إن هذا الشبح المشاغب كان من الممكن أن يصبح وسيطا روحيا عظيما . لو أمكن تزويده بأفكار الوساطة .

بعد هذه المرحلة ذات الطابع الدينى فى أقواله ، بدأ الشبح المشاغب فى النطق بالألفاظ الخارجة الجارحة والتى أثارت انزعاج تلك العائلة المتدينة . بل إنه أعلن كراهيته لشخص الأب « جاك بيل العجوز » ، وقال إنه سيظل يعذبه ، طوال ما بقى من حياته .

لا تتزوجيـــــه !.

منـذ ذلك الوقت فصـاعدًا ، أخـذت حالـة الوالـد فى التـدهــور . لقـد بـدأ يشكـو من تيبس فى فمـه ، ومن إحساسـه بأن شيئا يلطم جانبـى فكه . ثم تورم لسـانه إلى حـد أنـه لم يعـد يستطيع الأكل أو الكـلام . مثل هـذه النوبات كانت تستمر فى بعض الأحيان لحوالى ١٥ ساعة . ثم بـدأ يشعر بتقلصـات عضليـة فى رقبته ، انتشرت بعـد ذلك فى بـاقى جسده ، بحيث أصبح مـلازما الفـراش فى أغلب الأحيان ، يعانى من حالة هذيان دائم .

كـان من الـواضح أن الشبح المشـاغب يكن مشـاعـر مختلفة بـالنسبة لبـاقى العائلة . الأم ، التـى كانت بيتسى تعشقها . كـانت الهدايا تتسـاقط على الأم ، من الفـاكهة والمكسرات التى لا يعـرف أحـد لها مصدرا . أمـا الأخـوة ريتشـارد وجـويل ودرا ورى ، فقد كـان الشبح المشـاغب يضربهم من حين لآخــر ، ولكن دون إيــذاء حقيقى . وبالنسبة لبيتسى ، توقفت نوبات إغمائها ، وبدأت تعيش

فى سلام ، على الأقل من الناحيـة الجسدية ، لكن الشبح المشاغب بدأ فى مضايقتها عاطفيا .

كـانت بيتسى مخطـوبـة ، منـذ عـدة سنـوات لجارهم جوشـوا جاردنر . لقد ظل الشبح المشـاغب يلح عليها أن تفسخ الخطوبـة ، هامسا فى أذن الفتاة « ارجـوك يا بيتسى بيل ، لاتستمرى فى علاقتك بجوشوا جاردنر ، لا تتزوجى جـوشـوا جاردنـر » ، مضيفـا فى لهجـة تهديـد أنها إذا تزوجتـه فلن تعـرف لحظـة سـلام . . وقـد نجح الشبح المشاغب فى هذا .

صيحات شيطانية

فى خـريف عام ١٨٢٠ ، تمكن جـون بيل من مغـادرة الفراش ، والمضى فى متـابعة شئون مـزرعته . لكن الشبح المشاغب لم يكن يسمح بذلك . ويتذكر ريتشارد كيف أن والده تـرنح فجأة ، كأنما تلقى لطمـة شديـدة على رأسه . وسقط تجاه جـذع شجرة على جـانب الطريق ، بينما كـان وجهه يرتعش فى تقلصات مخيفة . وكلما حاول الابن وضع

حذاء الأب الذى كان قد خلع فى قدمه ، كان الحذاء يطير فى الهواء بمجرد وضع قدم الوالد فيه . طوال الوقت . كانت تتردد أصوات ساخرة ، وصيحات شيطانية .

فجأة اختفت هذه الصيحات ، فتوقفت تقلصات الأب ، ورأى الابن الدموع تنساب من عينى الأب ، على خديه المرتعشين .

عاد جون بيل إلى فراشه منهزما . وفى ١٩ ديسمبر ١٨٢٠ ، وجده أهل البيت فى غيبوبة عميقة ، وفشلت كل جهود إفاقته .

أسرع ابنه إلى دولاب الأدوية ، ليأخذ زجاجة الدواء الخاص بالأب ، والذى كان الطبيب وصفه له ، فوجد زجاجة مدخنة ، مملوءة إلى ثلثها بسائل داكن اللون . ومع ذلك ، فقد أعطاه بعضا من ذلك الدواء .

استدعى الطبيب ، وعند وصوله ، سمع الجميع صوت الشبح المشاغب ينعق قائلاً « لا فائدة من المحاولة لن تستطيع إنقاذه ، لقد تمكنت منه هذه المرة . . لن يبارح

سريره بعد اليوم . . » وقد توفى بيل صباح اليوم التالى . وبينما كانوا ينزلون نعشه إلى القبر ، سمع الجميع شماتة الشبح المشاغب ، وهو يترنم بأغنية مرحة ، تكشف عن سعادته .

قنبلة الدخان

اختبر طبيب العائلة السائل الذى كان فى زجاجة الدواء ، على إحدى القطط ، فأصيبت القطة بتقلصات حادة على الفور ، ثم ماتت ! . . وبدلاً من تحليل السائل ، ألقى الطبيب بالزجاجة غاضبا إلى نار المدفأة . ولم يحدث أن توصل الأطباء إلى تفسير طبى مقنع لوفاة جون بيل .

بعد الوفاة ، بدأت الظاهرة تخفت تدريجيًا . وبينما كانت العائلة تجلس إلى مائدة العشاء ذات مساء ، انفجر فى المكان ما يشبه قنبلة الدخان ، وسمع الجميع صوت

الشبح المشاغب وهو يقـول إنه سيمضى الآن بعيدًا ، لكنه سيعود بعد سبع سنين .

وقـد تحقق الوعـد ، بعد أن كـانت بيتسى قد بـارحت المنزل ، وتزوجت من شخص آخـر غير خاطبها السابق . ولم يكن بالبيت وقتها سوى الأم وجويل وريتشارد . إلا أن الظواهـر لم تتجاوز فترة قصيرة ، وتـراوحت بين سماع وقع جرجـرة أقدام على الأرض ، وجذب مـلابس النوم . . ثم اختفى الشبح المشاغب نهائيًا بعد ذلك .

إحساس حاد بالذنب

ورغم أن بعض المظاهر الهامشية لحالة جون بيل وشبحه المشـاغب ، يحتمل أن تكـون قد تحورت وتبـدلت على مـر السنين ، لكن الأمـر الثـابت هـو أن الظاهـرة الأسـاسيـة وقعت بـالفعـل . ومـازال المختصـون ينظـرون إلى هـــذه الظـاهرة بـاعتبارهـا من الظـواهر التى تستحق المزيـد من الدراسة الجادة ، وقد جرت مناقشتها ، وفحص وقائعها ،

بشكل مستفيض فى العديد من كتب الظواهر الخارقة للعقل البشرى .

وأكثر ما يثير الانتباه فى الجوانب النفسية لحالة جون بيل، هو ما يشار إليه من غموض فى العلاقة بين بيتسى بيل ووالدها .

بداية ، دعنا ندخل فى الاعتبار الأعراض التى مرت بالفتاة . يشير دكتور فودور إلى أن نوبات الإغماء التى كانت تمر بها بيتسى ، وحالات الدوار التى يعقبها مباشرة صوت الشبح المشاغب ، شديدة الشبه بالأعراض التى تظهر على الوسيط ، عندما يدخل فى حالة الاسترخاء الكامل، أو النشوة . وهو يشير أيضًا إلى أن الفتاة كانت سليمة من الناحية الصحية ، وأن نضوجها الجنسى جاء مبكرًا .

والوالد من ناحية أخرى ، ظهرت عليه كل علامات ما يطلق عليه الطب النفسى الحديث تعبير « الإحساس الحاد بالذنب » ، الذى تكون له انعكاساته العديدة على البدن .

مثل التقلص العصبى للعضــلات ، وعـدم القــدرة على الأكل أو الكـلام ، والانسحاب العام من الحيـاة . ورغم احتمال أن أحدا قـد دس السم فى دواء الأب ، ذلك السم الـذى قضى عليه آخـر الأمر ، يبقى الاحتمال القـوى بأن الرجل قتل نفسه ، بعد أن أصبح لا يحتمل ملاحقة الشبح المشاغب له .

أما بـالنسبة للشبح نفسه ، فيقـول د . فودور إن ذلك الكيـان لم يكن فى إمكـانـه أن يعتمـد فى وجـوده ، أو فى مايقـوم به من تصرفات غـريبة ، على نفســه فقط . . لقد كان الشبح المشاغب ـ بصفة استثنائية ـ بشريا للغاية ، فى مشاعره وسلوكه العـاطفى ، ومزحه التى يقلد بها البشر . ومن حيث إظهار العطف والحب والرعاية للفتاة لوسى بيل من حين لآخر ، وأيضًا الطريقة التى كان الشبح المشاغب يحتقر بها جون بيل ، ذلك الاحتقار الشديد .

ذكريات طال كبتها

ويستخلص د . فودور من ذلك أن بيتسـى بيل كانت

تعـانى من انفصـام فى الشخصيـــة ، أى أنـه ، بطـريقـة غامضة ، كـان جانب من عقلها اللاواعـى قد اتخذ لنفسه حياة مستقلـة . وهذا الجانب الناشـز من نفس بيتسى هو الذى دفع الوالد إلى الموت ، بطريقة منهجية .

وسيكلوجية مثل ذلك الانفصام مازالت لغزا ، بالنسبة للبحث النفسى . فإنـه من النـادر جـدا رصـد مثل هـذه الحالات من تعـدد الشخصية ، لكن عنـدما تظهـر يكون مرجع ذلك عادة إلى صدمة شعورية قوية ، وقد قدم دكتور فودور تخمينـا تصوريا فى أســاسه ، معتمـدا على خبرته فى مجال العصاب (أى الاضطراب العصبى الوظيفى) ، وفى مجال الذهان (الاضطـراب العقلى) ، لجذور واقعة الشبح المشاغب الذى عانت منـه عائلة بيل ، مشيرا إلى أن ابتداء مـرحلة المراهقـة ، والمشـاعر الجنسيـة النـامية ، كـان من الممكن أن تتحول إلى صدمـة ، فى المحيط المتطهر المتزمت الذى نمت فيه بيتسى ، والمجتمع الذى عاشت فيه .

وقد تصور د . فودور أن الصــدمة فى حالتها يمكن أن تكون قـد تعمقت نتيجة استيقـاظ ذكريات طـال كبتها .

فماذا كانت تلك الذكريات ؟ . . تقول نظرية دكتور فودور، إنه من المحتمل أن تكون بيتسى قد اغتصبت فى طفولتها ، ومن المحتمل أيضًا أن يكون الأب هو المغتصب! . .

قد تبدو هذه النظرية بعيدة عن التصديق ، إلا أن العلاقات غير الطبيعية بين المحارم ليست بالندرة التى نتصورها ، خاصة فى المجتمعات الزراعية الريفية . ويشير د . فودور إلى أن أول ظهور للإحساس العميق بالذنب عند بيل ، توافق مع وصول بيتسى إلى سن المراهقة . ومن المحتمل أن يكون إحساس بيل بالذنب قد بلغ أقصاه ، بحيث إنه تعاون ـ بشكل ما ـ مع الشبح المشاغب فى مضاعفة أعراضه المرضية .

معامل جامعة ديوك

أما عن السر فيما أبداه الشبح المشاغب من اضطهاد لبيتسى ، فيمكن فهم ذلك ، إذا قبلنا الفرض القائل بأن

ذلك الشبح كان جـانبا من لا شعـور بيتسى . إذا ما صح أن جانبـا من نفس بيتسى كان مصمما على قتل والـدها ، فمن الطبيعى أن تكون لديها مشاعر قوية بالذنب من جراء ذلك ، ومن ثم تستحق بعض العقاب من عقلها الواعى . ويقول فودور إن التضحيـة بخطوبتها جاءت فى البـداية . إلا أن رؤية القتل العقليـة كانت متبلورة فى عقلهـا الباطن قبل ذلك بزمن .

ولو أن حالة شبح أسرة بيـل قد حدثت فى الشطر الأول من القـرن العشريـن ، وليس قبل هـذا بمائة عـام ، كنـا سنصبح فى مـوقف أفضل عنـد التصـدى لتقييمهـا ، من النـاحيـة السيكلـوجيـة ، ومن نـاحيـة القـدرات العقليـة الخاصة . لقد تطورت اليوم إلى حـد بعيد البحوث الخاصة بالظواهـر الخاصة للعقل البشرى . وهى تزداد تطـورًا يوما بعد يوم . ولعل أفضل معامل البحث فى تلك الظواهر هو معمل البـارا سيكلـوجى بجـامعـة ديـوك . بـالـولايـات المتحدة ، الـذى أسسه دكتـور ج . راين ، وينهمك خبراء ذلك المعمل فى جهود مضنية ، سعيا إلى اختبار العديد من

الظـواهر الخاصـة ، أو غير العاديـة ، ومن بينهـا ظاهـرة الأشباح المشاغبة .

ويصف دكتور ج برات ، مساعـد د . راين ، فى كتابه «بارا سيكلوجى » . بعض منـاهج البحث المعملى . وقد أشـــار فى أحـــد فصـول ذلك الكتـاب إلى واقعـة الشبح المشـاغب ، الذى ظهـــر فى منطقـة سيفـورد بأمريكـــا . ذلك الشبـــح الذى أثـار المتـاعب لعائلـة متوسطـــة ، فى لونج أيلاند .

الزجاجـات المراقـــة

كان السيد والسيدة هيرمان يعيشان مع طفليهما جيمى (١٢ سنة) ، ولوسيل (١٣ سنـة) ، فى منزلهما بسيفورد . ناسو كونتى ، فى ولاية نيويورك .

على مـدى شهـرى فبرايـر ومـارس ١٩٢٨ ، حـدثت سلسلة من الظـواهر الغـريبة ، التى أشـاعت الفوضى فى حيـاة الأسرة ، بلغ عـدد المسجل منهـا ٦٧ واقعـة . وقـد

جرى تحقيق هـذه الظواهر ، ليس فقط عن طريق جـامعة ديوك ، ولكن أيضًا بين سلطات شرطة الولاية .

لقد كـانت الظواهـر منقسمة إلى نـوعين ، رفع الغطاء المحـوّى (قـلاووظ) عن الـزجاجـات ، متبـوعًـا بإراقـة محتويـات الزجـاجات ، ثم تحرك الأثـاث وبعض الأشياء الصغيرة .

ورغم أن دكتـــور بـــرات ، لم يستطـع أن يصل إلى استخلاص حاسم تجاه ظاهرة الشبح المشاغب الذى ظهر فى سيفورد ، إلا أنـه لاحظ عدم حـدوث أى شىء عنـدما تكون الأسرة خارج البيت ، أو عندما يكون الجميع نياما . أو عنـــدمـــا يكـــون الطفـــلان فى المدرســـة . ولاحظ أن الاضطـرابـات تحدث دائمًا فى أقـرب مكـان من جيمس . قياسا على باقى أفراد الأسرة .

ويطـرح د . بـرات فى تقـريره العنـاء الـذى يـواجهـه الباحـث فى الظواهر غير العـادية ، قبل أن يصـل إلى قرار بأن الظـاهـرة حقيقية ، ولا تـرجع لأسبـاب طبيعيـة ، أو

تعــزى إلى الخداع . لقـد استبعــد د . بــرات ، ومفتش الشرطة جـوزيف توزى ، احتمال وجود حيلة أو خـدعة . يقوم بها أى مـن أفراد العـائلة . ثم بعـد ملاحظـة القرائن الملموسة لتلك القوة ، الأشياء المحطمة والسوائل المراقة . استبعـدا سريعًا أن الظـاهرة هى مجرد هلـوسة جماعيـة من جانب أفراد العائلة .

ثم قـامـا بعـد ذلـك بمـراجعـــة احتمالات أن يكـون الاضطراب قد حدث نتيجة مـوجات راديو عالية التردد . أو ذبذبات ، أو آثار كيميائية (فى حالة السوائل المراقة) . أو نتيجة لتركيبـات كهربائيـة غير سليمة ، أو من أثـر جر أثقال فى المبنى ، أو تغيرات فى مستوى ميـاه بئر قريب من المنزل . وأيضًا استبعدا احتمال وجود نهيرات تحت الأرض ، أو هبوطا فى التربة .

ماذا تفعل المراهقة ؟

بعد ذلك ، قامت مجموعـة د . برات مع رجال الشرطة بعقد مؤتمر ، فى كلية أدلفى القريبة من المنزل ، مع أعضاء

قسم العلـوم ، ودعى إليـه أيضًـا مجموعـة من المهنـدسين الإنشـائيين والمدنيين والكهـربـائيين مـن جمعيـة نـاسـو للمهندسين .

بـالإضـافـة إلى مـا تم من استبعـادات سـابقـة لسبب الظاهرة ، اختبروا احتمال رجوع الظواهر إلى عمليات إقلاع وهبوط الطائرات ، فى مطـار ميتشيل القريب ، ثم راجعوا أعمال السباكة والصرف فى المنزل ، من القمة إلى القاع .

كانت نتيجة جميع هذه المراجعات سلبية . وبعد حوالى شهـريـن من البحث فى الموقع ، قــال د . بـرات إنهم لايتعاملون مع « أى نـوع من القوى الطبيعية ، التى يمكن أن يعزى إليهـا سبب هذه الـوقائع الغـريبة ، وإذا لم تكن اضطرابات سيفورد نتيجة عمليـات أو خداع ـ علما بأننا لم نعثـر على أى دليل للخـداع ـ فإنها تعتبر مجالاً منـاسبًـا لاهتمامات علماء الباراسيكلوجى » . وكلماته هذه تعنى أن هناك كيانا ذكيا ، يقف وراء هذه الظواهر والاضطرابات .

ولم يستبعـد د . بـرات اتصال واقعـة سيفـورد ، كما فى معظم حالات الأشبـاح المشاغبة ، بمـراهقين فى المكان .

وقد خرج د . برات ، من خلال زيارته القصيرة للعائلة . بأن الطفلين لا يبدو أنهما يعانيان من أى مشاكل نفسية . ومن المحتمل أن المشاكل النفسية ليست شرطًا لحدوث الظواهر غير العادية ، وأن المراهقة فى حد ذاتها تطلق ظواهر الأشباح المشاغبة ، وأن قوى المراهقة تتبادل التأثير مع قوى أخرى .

إلا أنه ليس ممكنا استبعاد فكرة وجود قوى أخرى . لأنه قد تم رصد بعض حالات الأشباح المشاغبة لم تكن تتضمن أى مراهقين فى المكان . وهذا ينطبق على حالة الأشباح المشاغبة التى نشطت فى مركز كيلاكى ، بايرلندا . والتى كانت تتجسد فى شبح قطة سوداء .

ما رجريت أوبراين ، الشخص الوحيد الذى كان يعيش فى المكان خلال كل مراحل الاضطرابات ، التى استمرت من أواخر الستينيات وحتى نهاية عام ١٩٧٠ . هى سيدة ناضجة ذكية . والأكثر من هذا ، أنها كانت غائبة عن البيت فى كثير من المناسبات التى حدثت فيها الظاهرة . ومن ثم ، يصبح من المستحيل الربط بين المتاعب وبين أى شخص .

ولكن من المحتمل أن الشبح المشاغب الذى أقام فى كيلاكى قد دفعه إلى النشاط تدخل هواة البحث فى الظواهر غير العادية . وفى هذا الصدد ، قد يكون من المفيد تذكر أن الشبح المشاغب الذى ظهر وسط عائلة بيل ، قد ساعدت على تنشيطه جهود لجنة التحقيق ، بعد أن طالبته بتحريك فمه والتلمظ وإصدار غير ذلك من الأصوات . وكذلك الشبح المشاغب « جيفرى العجوز » الذى ظهر لعائلة ويسلى ، كانت كيزى هى التى شجعته إلى حد ما ، عندما راحت تتابعه من حجرة إلى أخرى ، ثم أخذت تغيظه .

ظاهرة الأشباح المشاغبة قد تكون إحدى القوى البشرية ، لكنها تبدو دائماً قادرة على تبادل الاستجابة مع التدخل الآدمى .

تحطيم الكراسى والأوانى

بعد ظهور القطة السوداء العملاقة خلال تجديد مبنى

كيلاكىْ ، وردت تقارير عن ظهـور أشباح أخرى ، لكنها لم تكن بحيوية تلك القطة .

عنـدما نشرت وقـائع التحقيقات حـول هـذه الظاهـرة الغـريبـة فى الصحافـة الأيـرلنـدية ، سعت مجمـوعـة من شخصيـــات النشـــاط المسرحـــى والترفيهى فى دبلن إلى إقنـــاع السيـدة مارجـريت أوبـرين بأن تسمح لهم بعقـد جلســة فى بيتهـا . وعنـدمـا وافقت ، حضروا ، ثم رتبـوا حروف الأبجدية على شكل دائرة فوق مائدة ، واستخدموا كوبا مقلـوبة كمؤشر ، يمكن أن تشير بـه القوى الخارقـة إلى الحروف .

كانت نتيجـة تلك الجلسة غير حـاسمـة ، رغم انقطاع التيــار الكهـربـائى ، بشكل غير واضح السبب ، عـدة مــرات خــلال تلك الليلــة . لكن حــدث بعـد هـذه الجلسة بيومين أن تصاعـد الوضـع ، وبــدأت المشاكــل والاضطرابات الجادة .

بـدأت الأشباح المشـاغبـة ـ بشكـل متقطع ـ فى الـدق والطرق أثناء الليل ، وأخذت الأنوار تضاء وتطفأ . ثم بدأ

بعض الفنانين المقيمين فى مركز كيلاكى يعانون من الأرق . نتيجة للقرع المتواصل مـن الأجراس ، رغـم عدم وجود أى أجراس فى المنطقة .

والمرحلة الثانية من النشاط كانت أكثر وضوحًا . .

فى إحدى الغـرف المغلقة التى لم يدخلها أحـد ، عثروا على قطع أثـاث ثقيلة وقـد قلبت . كذلك جـرى تفكيك الكرسى الضخم من خشب البلـوط قطعة بقطعة . . وتم تحطيم كرسى آخـر متين إلى شظايا ولمدة عدة أسـابيع بعد تحطيم الكراسى ، حل السلام . لكن الاضطرابات بدأت بعد ذلك ثـانية . وهـذه المرة اتخذت شكل تحطيم الأوانى الخزفيـة . . كانت الآنيـة تقفـز فى الهواء ثم تهوى مرتطمـة بـالأرض وقـد تحطمت . . كما اتخذت شكل تلـويث مسـاحـات واسعـة مـن الحائط بـالصمغ ، وشكل تمزيق العديد من لوحات التصوير الزيتى إلى شرائط .

زجاجات اللبن والقبعات !

قرب نهايـة عام ١٩٧٠ ، حـدثت أغرب واقعـة ، وقد

جـاء ذلك فى أعقـاب محاولـة قسيس دبلن القيـام بتـلاوة بعض التعاويذ وإجراء بعض المراسم .

فى ذلك الـوقت ، كان السيـد والسيدة أوبرايـن مازالا يجريـان بعـض التحسينـات فى المكـان ، ولم تكـن لـديهما ثلاجة كهربائية ، لذلك فإن بائع اللبن ابتكر بديلاً طبيعيًا للثـلاجة ، بـوضع زجـاجات اللبن وسط الماء المتـدفق فى جـدول المياه الطبيعى القـريب من البيت . كـان قد تـرك الزجاجات منتصبة وسط المياه الضحلة . وعندما توجهت مـارجريت إلى الجدول لتـأخذ زجـاجـة ، وجدت الغطـاء المصنـوع من الألـومنيوم الخفيف (الفـويل) قـد نـزع من مكانه ، رغم أن اللبن الذى داخل الزجـاجة كان باقيا على حاله . . وقد تكررت هذه العملية لعدة أيام تالية .

فى البدايـة تصور الزوجان أن الطيـور هى التى انتزعت الغطاء ، رغم عدم العثور على أى أثـر للأغطية . ولوضـع حـد لهذه المضايقـات ، بنى السيـد أوبرايـن صندوقًـا من الأحجار الثقيلـة له أربعة جوانب ، فـوق جدول الماء ، ثـم

غطى ذلك الصندوق ببلاطة ثقيلة ، وطلب من بائع اللبن أن يعيد وضع البلاطة بعد وضع زجاجات اللبن فى الجدول . رغم هذا ، فقد تواصل اختفاء الأغطية ، ثم بدأ ظهور أنواع أخرى من أغطية الزجاجات داخل المنزل ! . . ربما كنوع من التعويض عن أغطية الزجاجات المفقودة ! . .

نتيجة هذه الاضطرابات المتنوعة ، اعتاد الزوجان ، كاحتياط ، أن يغلقا كل الأبواب والنوافذ قبل التوجه إلى الفراش مساء . ومع ذلك ، فقد تواصل ظهور أغطية الزجاجات ، ثم بدأت تظهر معها أشكال وأنواع من القبعات ! . . قبعات سباق خيل ، وأوبرا ، وأغطية رأس أطفال محبوكة من الصوف ، لها كرات صوفية أعلاها . وقبعات قش رجالية ونسائية ، من التى تستخدم لاتقاء الشمس . . وكانت مفخرة المجموعة ، حرملة نسائية من الكتان ، لها شراريب ، قدر المختصون أنها ترجع إلى أزياء القرن التاسع عشر ، رغم أن حالتها كانت كالجديدة تماما .

ذلك النشاط الغريب توقف فجأة عند نهاية عام ١٩٧٠ . ورغم سماع بعض الطرقات ووقع خطى أقدام من حين لآخر ، إلا أن مركز كيلاكى للفنون عادت له حياته الطبيعية . تحقيق وقائع هذه الظاهرة تم فى قمة حدوثها ، ولكن فى حدود ضيقة ، باعتبار أن الهدف كان إعداد برنامج تلفزيونى عنها ، وعن الأحداث الغريبة التى تتضمنها . ومن المؤسف أن هذه الوقائع لم يتوفر لها الخضوع لاشتراطات التحقيق العلمى الدقيق ، فمن الواضح أنها تندرج تحت طائفة أكثر ألغاز الأشباح المشاغبة غموضًا .

الاضطرار إلى هجرة البيوت

وفى الزمن الحاضر ، تنشر الصحف من حين لآخر عن المآزق التى يواجهها بعض الناس ، عندما تدفعهم الأشباح المشاغبة إلى هجر بيوتهم .

فى أغسطس ١٩٨١ ، هربت عائلة بيرون من بيتها فى شارع آبوت ، من المنتجع الانجليزى المختار فى بورتماوث ،

مقسمة على عدم العـودة إليه بعد أن أشاعـت فيه الأشباح المشاغبة أشكالاً من الخراب .

لقد حفلت الصحـف ، فى ذلك الوقت ، بصـور آثار الواقعـة ، الأوانى الفخارية المحطمـة ، والطعام الملقى فى فـوضى كـاملـة على أرض المطبخ . وأشـارت التقـاريـر الصحفيـة المصـاحبـة لهذه الصـور إلى قطع الأثـاث التى طارت فى الهواء ، قبل أن ترتطم متحطمة بالأرض .

وواقعة أخرى حدثت قبل هـذا بما يزيد عن العام قليلاً ترك زوجان شابان ، وطفلهما الرضيع منزل البلدية الخاص بهم فى بينهيل وايلتشـاير ، بعـد انتقـالهم إليه ثـلاثة أيـام فقط ! . .

وفقـا لما نشرتـه إحـدى الصحف حـول هـذه الـواقعـة «أخـذت الأنـوار تضيـىء وتنطفىء ، والقضيب الخاص بتحـريك نـار المدفأة طـار عبر الحجرة ، كما طـار جهـاز التسجيل تجاه الطفل النـائم » كـان المجلس البلـدى متعاطفـا معهم ، وقال متحدث بـاسمه « هذان الـزوجان

لايكذبان بالنسبة لما يجرى فى هذا البيت ، وسنعمل مباشرة على تدبير منزل جديد لهما » .

كما جرى إعادة إسكان عائلة أخرى ، فى انجلترا الوسطى ، بعد أن تدفقت كميات الماء من خشب الأرضية ، رغم عدم وجود أى تسرب أو عيب فى أنابيب المياه الخاصة بالمنزل ! . .

الطرقات والدخان

ورغم أن انطباع البشر بالنسبة لمعظم وقائع الأشباح المشاغبة يكون سيئًا ، إلا أن ضحايا هذه الوقائع يبدون . بين الحين والآخر ـ ممتنين لاختيارهم كهدف لها ! . .

فى يناير من عام ١٩٨٢ ، استيقظت عائلة نيومان . التى تعيش فى شيفيلد بيوركشاير ، فى منتصف الليل على الأصوات التقليدية للأشباح المشاغبة ، والتى تواصل إزعاجها لهم على مدى سنة ، بالإضافة إلى قذفها تحف الزينة وغيرها من الأدوات المنزلية ، إلى أنحاء البيت ، مع تواصل أصوات الطرقات العالية .

فى تلك الليلة ، دفعت هذه الضوضاء والفوضى صاحب البيت ديريك نيدمان إلى أن يتحرك . روى هذا عن لسانه ، أحد المراسلين الصحفيين قائلاً « لقد بدا الأمر كما لو كان أحد ما يمر على كل ما فى البهو بمطرقة . . كان الصخب هائلاً . . فالتقطت مطرقة ، وفتحت باب حجرة النوم ، فاندفع فى وجهى دخان كثيف . . » .

ويعتقد السيد نيدمان أن الشبح المشاغب أنقذ حياته وحياة زوجته وأولاده الثلاثة ، لأن الشقة كانت قد اندلعت فيها النار ، وكان الدخان يملأ أنحاء البيت . ولم تستيقظ العائلة نتيجة للطرقات والنقر الشديد ، لما كان بإمكانهم أن يصلوا إلى الشرفة ، التى قام رجال الإطفاء بالتقاطهم منها .

ومن ناحية أخرى ، توجد على الأقل عائلة واحدة . وجدت أن احتكاكها بالأشباح المشاغبة ، كان أكثر قبولاً من الأحداث التى تلت إعلانها عن الواقعة ، والمتاعب التى ترتبت على ذلك .

فى عدد ١٧ سبتمبر من عـام ١٩٦٢ ، أوردت جريدة الـديلى تلجراف بعنـاوين ضخمة مثيرة « لم تكن الأشبـاح المشاغبة هى التى دفعت عائلة دوترى لهجر بيتها الريفى . فى بـورت سماوث بفـــرجينيا ، ولكنــه كـــان تـدفق آلاف الفضوليين الذين تدافعوا لـرؤية ما يحدث . وتقدر الشرطة أن عدد الـزوار قد وصل إلى ٢٠ ألف زائر خـلال أسبوعين من نشر أخبـار الأوانى الفخـاريـــة التى تـرتطم بـالأرض والحوائط والحشيات والوسـائد التى تطير من فوق الأسرة . وطفل الأسرة الـذى رفعته الأشبـاح المشاغبـة فى الهواء فوق مقعـده . وتقول السيـدة دوترى ، البـالغة من العمـر ٧٨ سنة ، لم أشعر بـالخوف من أى شىء فى ذلك المنزل ، لكن ازدحام الجماهير هو الذى أرعبنى ! » .

خدعة طبيب الأسنان الألمانى

تسجيل آثـار الأشباح المشـاغبـة ، وجمع أقوال شهـود العيـان ، وزيارة مـوقع النشاط ؛ هـذا هـو ما ينشغل بـه

البـاحثون فى مجال الظـواهـر الخارقـة . إلا أن الوصـول إلى تفسير محدد لهذه الظواهر ، هو شىء آخر .

لقـد وضع دكتور جـورج أوين ، المهتم بتحقيق وقـائع الأشباح المشـاغبة ، سـؤالا ، ليكون عنـوان كتابـه الذى صدر عام ١٩٦٤ ، « هل يمكننا أن نفسر ظاهرة الأشباح المشاغبة ؟ » . ورغم أن العـديد من الحالات ستظل تبعث الحيرة فى النفوس ، إلا أن الإجـابة عـن هذا السـؤال تكون أحيانا « نعم يمكننا » .

أكثـر الاحتمالات قـوة ، هـو أن الـذيـن يمـرون بهذه التجربـة ، يكونون ضحيـة خدعـة أو مزاح . ولا شك أن تـاريخ مـا كتب عن الأشبـاح المشـاغبـة ، وغير ذلك من الظواهر الخارقة . حافل بالخداع والاحتيال .

على سبيل المثال ، فى بداية عام ١٩٨٢ ، أثارت دهشة أهل بافاريا السفلى حكاية غريبة . طبيب أسنان فى مدينة صغيرة اسمهـا نـويتراوبليخ ، ادعى أنـه قد سمع صـوتـا خشنا متقطعا من السقف ، ومن فيشات الكهرباء ، ومن أجهزتـه الطبية ، وحتى بلاعـة الحوض ودورة المياه . . تم

استدعاء الشرطة ، وقامت فرقة من مكتب البريد والهاتف بتغيير تـوصيـلات التليفـون ، وقبل أن ينصرف الفـريق . سمع أفراده صوتا يقول « لن تتمكنوا من العثور عليّ . . » . قالها بلهجة بافارية ثقيلة .

لكن ثبت فى نهاية الأمر ، أن المسألة كلها مجرد خدعة . واعترف الطبيب ومساعدته الجميلـة الصغيرة بذلك . لقد بـدأ الأمر كمـزحة ، ثم تطـور إلى مشكلـة . لقد فـرضت المحكمـة على الطبيب غرامـة تبلغ حـوالى ٨ آلاف دولار . لإزعاجـه السلطات ، والسعى إلى الدعـاية عن عيـادته . وانتهى الأمــر بإغـلاق ملف الواقعــة ، وإغلاق عيـــادة طبيب الأسنان .

السأم .. وخدعة القاضى

ومن بين الحالات الموثقـة للأشبـاح المشـاغبـة ، حالـة كـوميـديـة لشبح مـزيف ، ظهـر فى مـدينـة ونـدسـور ، بنوفاسكـوشيا عام ١٩٠٦ . بطل القصة قـاضى إشهار ، سنرمز له بالرمز «س» . كتب السيد س لجيمس هيسلوب ،

أحـد أوائل الأمريكيين الـذين نشطوا فى أبحـاث الظواهـر الخارقة ، يحكى قصة عجيبة .

قال إن المسالة بدأت عندما شاهد ما يبدو كجسد رجل بلا رأس . ثم تجسد الشبح بعـد ذلك فى صورة حقيبة وفى صورة صندوق محمول عبر الطـريق ، وكان وزن الصندوق يتـزايـد كل لحظـة . وعنــدمـا طلب السيـد س من المارة مساعدته فى حمل الصنـدوق ، ثم فتحه أمامهم ، لم يجد به شيئا . وحكى عن برميل ضخم يتدحرج فى شوارع المدينة بـلا توقف . وفى رسـالتـه ذكر السيـد س مـا حدث بعـد ذلك ، إذ كانت العملات المعدنية تتساقط من أعلى ، كلما دخل أحدا المتاجر ، كما أن صوت قرع واضح سمع فى قبو محل البقالة ، وعندما كـان فى المطعم كانت الأشياء تتطاير فى الهواء . . ولهذا أوفد هيسلوب السيد هيروارد كارينجتون إلى مدينة السيد س .

كان كارينجتون محققا صاحب خبرة غزيرة ، شعر بعد قراءة خطـاب السيد س أنه غير مقتنع بـأصالة الـوقائع . وعندما وصل إلى مدينة وندسور تأكدت ظنونه . لقد تواطأ عدد من سكان المدينة للقيام بخدعة على حساب القاضى

الساذج . فى أحد المصانع ، قام العمال بربط المقاعد الخالية بخيوط يمكن شدها لتبدو المقاعد وكأنها تتحرك من تلقاء نفسها . ومدوا بعض الأنابيب لنقل الأصوات الغامضة . وبعض أبناء البلدة كانوا مدربين على إلقاء الأشياء فى الهواء دون ملاحظة حركة أيديهم ، وكان فى محل الحلاقة أحد ممارسى خفة اليد يجعل العملات الأجنبية تتساقط دون مصدر معروف .

الرعب الذى أحدثته هذه الحركات جعل من الصعب على القاضى س أن يتحقق مما حوله . لقد اكتشف كارينجتون أن الحكاية بدأت كنكتة فى أحد المصانع ، ثم ما لبث أن شارك فيها معظم أهل المدينة ، ربما كوسيلة لتبديد السأم الذى جلبه الشتاء الزاحف الجديد .

الغيرة الشريرة

بعد أن سمعت السيدة روزاموند باركر عن الوقائع التى تمكن د . برايس ومعاونوه من كشف زيفها ، وإظهار

مافيها من خدع ، أرسلت لـه خطابا تشرح تجربة مرت بها على مـدى ثـلاث سنوات . كـانت روزامـونـد تعيش مع والـدتها وشقيقها فى منـزل بإحـدى القـرى الإنجليزيـة . عندمـا بدأت الأحـداث الغريبـة التى حكت عنها قـالت «لمدة ثـلاث سنـوات ، قـامت سيـدة متـوسطـة العمـر بخـداعنا . عن طـريق القيـام ببعض الحيل والألاعيب ، حتى نتصـور وجود أشبـاح مشاغبـة . فى بدايـة الأمر ، لم نشتبه فيها بأى شكل من الأشكال ، فمظهرها كان يوحى بأنها طبيعيـة ومحل ثقة . بعد وفـاة والدى كنـا نعيش نحن الثلاثة معا . وجـاءت السيدة ف إلى البيت لتقوم بالأعمال المنزليـة . لكن الذى قامت به فعـلا ، هو أنها سعت بكل وسيلة ممكنـة إلى ارعابنـا ، مصدرة الأصـوات فى منتصف الليل ، ومكررة الصفير بمهارة جعلتنا نتصور أنه قادم من خارج البيت . ولعل السر فى هـذا التصور ، حالة التـوتر التى لم تكن تساعد على تبين حقيقة الأشياء ! .

« ثم انتقلنا بعد ذلك إلى منزل جديد ، خلال السنوات الثـلاث الأخيرة . فى البيت الـريفى ، لم تنجح الشرطـة فى

اكتشـاف سر اللغـز ، لكن بعـد انتقـالنـا إلى المدينـة استطاعت الشرطة بسرعة أن تكتشف سر السيدة ف ولعل مرجـع ذلك أنها أصبحت فى هـذه المرحلة أكثـر جـرأة . وأقل حيطـة ، فى القيـام بحيلها . المهم أننـا جميعـا وكل أقاربنـا ، ومن كـانـوا يترددون علينـا ، لم نشتبـه أبـدا فى السيدة ف . . » .

قـالت السيـدة روزامونـد فى خطـابها إنها لم تستطع أن تحدد دوافع السيـدة ف للقيـام بما قامـت به ، « لقـد كنـا نعاملهـا دائماً أطيب معاملـة . . والافتراض الباقـى الذى استقر رأينـا عليه ، هو أنها بطريقـة غريبة ، كـانت تشعر بالغيرة من وضعنا الاجتماعى ، وأرادت أن تحطمنا » .

التلفزيون .. والمجارى !

وبعض وقـائع الأشبـاح المشـاغبـة تبين أن بـالإمكـان الوصول إلى تفسير عادى طبيعى لها .

فى ينـاير ١٩٧٩ ، على سبيل المثـال ، ثار قلق سكـان مونت بليـزانت ستيت ، فى لميريد جشاير ، عنـدما بدءوا يسمعـون أصواتـا هادرة ، أشبـه بصوت الـرعد البعيـد . كانت تتردد كل نصف ساعة تقريبا خلال المساء فى بعض الأحيان ، كانت البيوت تهتز بشـدة نتيجة لذلك ، إلى حد أن تحف الزينة كـانت تتساقط من فوق رفوفهـا . وقد ذكر أحد السكـان أن مجموعـة التحف النحاسيـة كانت تسقط متدحرجـة على الأرض . بدأ التوتر يسـود سكان المنطقة . خاصة وأن الاهتزازات كانت تزداد قوة كل يوم .

عندما تم استدعاء الشرطة ، عاد رجالها بعد أيام قليلة من البحث المضنى ، بإجابة شافية ! .

لقـد عـرفـوا أن الضوضـاء والاهتـزازات لم يكن سببهـا الأشباح المشاغبة ، ولكنها كانت بسبب طبيعى منطقى : خلل نظام صمامات تصريف الهواء ، فى محطة رفع المجارى المحليـة . أما عن سبب تـواتـر حدوث هـذا بانتظـام كل نصف ساعة ، فقد قررت الشرطة أن مرجع ذلك إلى برامج التلفزيون ! . .

قالوا إن الإعـلانات التى تعرض بين البرامج ، تحل كل نصف سـاعة ، ومن ثم يسرع السكـان إلى دورات المياه . فيتضاعف ضغط الماء على نظام الضخ ، ممـا يضاعف أثر خلل الصمامات .

التفسير الجغرافى للأشباح

وهناك العـديد من وقائع الأشباح المشـاغبة ، أرجعت إلى أحوال جغرافيـة أو جيولوجية ، وأثرها على حـركة المياه الجوفية . وفى هذا يقول ج . لامبرت ، أحد خبراء الظواهر الخارقة « حقيقة عدم وجود مسبب طبيعى عادى ، لايعنى أن السبب لابد أن يتصل بالظواهر الخارقة . . » .

قـام لامبرت بأبحـاثـه عـام ١٩٥٥ ، وكـانت هـذه الأبحاث هى أساس نظرية « النظـرة الجيوفيزيقية للأشباح المشاغبة » . ومن بين مـا فعله ، البحث عن عامل مشترك فى عدد من الوقائع التى حظيـت بتحقيق جيد ، فوجد أن نصف الوقـائع تقريبا قـد جرت قريبـا من مياه الجذر ، بما

لايـزيد عن خمسـة كيلو مترات . وهـو يقول إن مثل هـذه القـوة كفيلة بإمـالـه المبانى ، بما يكفى لسقـوط الأوانى . وانزلاق الأرائك والمقاعد فى حجـرات المعيشة وإماله الأسرة بما يجعل من فوقهـا يتصور قوة تدفعـه إلى خارج السرير . وقد تحدث هذه القوة ضغطا يحطم زجاج النوافذ .

ويقول لامبرت إن هذه القوة تتوفر بشكل أكبر فى فصل الشتاء ، عنها فى فصل الصيف ، وبـالقرب من الشواطئ عنها فى المناطق الداخلية .

تجارب تضعف نظرية لامبرت

أبـدى بعض البـاحثين فى الظـواهـر الخارقـة اهتمامـا بالنظرية الجيوفيـزيقية التى قال بها لامبرت ، إلا أن العديد منهـم وجـدوا أنـه من الصعب أن يـرجعـوا بعض النتـائج المنسوبـة للأشباح المشـاغبة إلى مجرد اهتـزاز المبنى ، نتيجة اهتزازات تحت الأرض أو تحريك للميـاه الجوفية . كما أنهم وجدوا أنه من الصعب تصـديق أن تحدث هذه الاهتزازات

دون أن يشعر بها من هم داخل البيت . وفى صيف عام ١٩٦١ ، قام تونى كورنيل ، وهو من باحثى كمبردج ، وأحد أصحاب الخبرة العالية بموضوع الأشباح المشاغبة ، بعدة تجارب لامتحان مدى صدق نظرية لامبرت . أقنع سلطات المساحة فى البلدة بإعارته أحد المبانى الصغيرة القديمة لإجراء تجاربه . ورغم أنه كان من المقرر إزالة ذلك المبنى ، لكنه فى حالة إنشائية جيدة ، وخاليا من الرطوبة .

باستخدام آلة مبان صممت خصيصًا لإحداث هزات وذبذبات ، جرى هز المبنى بشكل فعال بالإضافة إلى استخدام كتلة من المعدن تزن ٦٠ رطلاً ، كبندول يرتطم بأعلى المبنى . وداخل المبنى تم وضع ١٣ جسما فى أماكن تجعلها متأثرة بهذه الاهتزازات .

كانت تجربة غريبة ، وتحتاج إلى شجاعة . وبالرغم من أن الإحساس بالاهتزاز كان قويا ، ومؤلما فى بعض الأحيان ، فإن الأشياء التى بالداخل لم يتحرك منها شىء . وبعد خمسة ارتطامات من الثقل المتأرجح الذى يبلغ وزنه

٦٠ رطـلاً ، حـدثت تلفيـات فى الأسمنت ، فسقطت شظـايـا طبقـة الجص مـن السقف ، ولكن الأشيـاء التى بالداخل بقيت فى مكانها .

ولم تأت النتيجة إلا بعد سلسلة من ارتطامات البندول ، عندمـا تحرك أحدى قـوائم المرجل الثلاثـة لمسافـة أقل من سنتيمترين ، وقادت الضربـة التالية إلى إسقـاطه . . لكن لم تحدث أى حـركة من الأشيـاء الثـلاثة عشر التى كـانت معلقة ، أو موضوعة فوق الأرض .

وأخيرا ، أدار كـورنيل الآلـة التى تحدث الاهتـزازات بأقصى قوة لها ، وبقى داخل المبنـى مع مساعده للمـراقبة رغم مـا فى ذلك من خطـورة . اهتـز المبنـى بعنف . وتصـاعدت سحب التراب ، وتسـاقط الملاط ، وحـدث شرخ فوق إحدى النوافذ . لقد كانت أعنف تجربة فى مجال تحقيق ظـاهرة الأشبـاح المشاغبـة ، لكنها كـانت فى نفس الوقت أكثرها دلالة ، لأنـه لم يحدث أن تزحزح من الأشياء التى بالـداخل إلا أقلها ، وكانت حـركة محدودة ، رغم أن

البيت بأكمله كان يهتز ، وكـان ملاط الحائط يطير مندفعا من مكان إلى آخر .

تـوقفت التجربـة ، بعد أن تأكـد كورنيل من أن هـذه الاهتزازات لم تحدث التأثير الـذى تحدثه الأشباح المشـاغبة وهكـذا أصيبت نظـرية لامبرت بلطمـة . وكـانت نتيجـة البحث الذى قامت به كمبردج ، أن تفسير وقائع الأشباح المشاغبة بالأسباب الجيـوفيزيقيه التى قال بها لامبرت ، هو الاستثناء وليس القاعدة .

المحتـرم جيمـس

ولعل خير ما يدعم رأى الباحث كورنيل ، تلك الواقعة المرعبة ، والتى تضمنت النعوش المتحركة فى باربادوس .

جرت أحداث هذه الواقعة فى قبر معتم ، بإحدى أجمل جـزر الكـاريبى ، التى اشتهـرت دائمًا بانتشـار الشعـوذة البدائية الأفريقية (فودو) ، وبسرقة القبور ، والنبش بحثا

عن الجماجم ، واجتذبت نتيجة ذلك العديد من الباحثين فى الظواهر الخارقة للعقل البشرى .

كانت تلك المقبرة تعرف باسـم « قبو عائلة تشيس » . وكانت ضمن المقابر الملحقة بكنيسة المسيح ، والتى كانت تخدم مستعمرة أو يستينس ، فى جنوب غرب بادبادوس . كانت سـاحة الكنيسة صغيرة ومهملـة ، وكان قبو عـائلة تشيس نفسـه غير ملفت من الناحيـة المعمارية ، لا يظهـر منه سوى السقف الحجـرى المحدب فوق الأرض . الهبوط لبضع درجـات من المدخل ، يقـود إلى مـدخل المقبرة ، محصن ببوابـة حديـدية متينة حـاليًا . وخلف هـذا الباب تكمن الغرفة المظلمة العارية من أى أثاث .

الأحـداث الغـريبـة التى جعلت هـذا القبـو المهجـور مشهورًا فى باربادوس كلها ، ثم فى العالم كله ، بدأت بعد عدة سنوات من نحت القبر فى صخـور باربادوس ، لكى يكون المقر الأخير لأحد الأغنياء المحليين ، المحترم جيمس اليوت ، والذى قال عنه شاهد القبر :

اختطـف منـــا

في الرابع عشر من مايو ١٧٢٤ ميلادية

في الرابعة والثلاثين من عمره

وتوفى منتحبا عليه من كل من عرفوه

ولا يعرف أحد ما إذا كان المحترم جيمس قد دفن أصلا في ذلك القبـو . وإذا كـان ذلك قـد حـدث ، فما الـذى حدث لجثمانـه ؟ ذلك لأنـه عندما أدخـل تابـوت السيدة تومـاسينا جودار إلى القبـو ، في عام ١٨٠٧ ، كـان المكان خـاليا . بعـد ذلك بعدة أشهـر ، أدخل تـابوت معـدنى صغير يضم رفات مازى آن تشيس ، الطفلـة ابنة صاحـب الأملاك في ذلك الـوقت ، المحترم تومـاس تشيس . وسط أحـزان الأسرة ، جـرى وضع التابـوت الصغير قـريبـا من تابـوت السيدة تـوماسينا ثم أعيـد فتح القبو في ١٦ يـوليه ١٨١٢ ، لدفن دوركـاس ، إحدى شقيقـات مارى آن . وكان كل شيء في مكانه .

الشياطين المحلية ، أم الزنوج

لكن فى الشهر التالى ، عندما توفى توماس تشيس نفسه ، وتم إعداد القبو لاستقبال نعشه ، وجدوا أن التابوت المعدنى لابنته قد تحرك ! . كان الأمر كما لو كان التابوت الصغير قد ألقى من أحد جانبى المقبرة إلى الجانب الآخر ، وكان مستندا برأسه إلى أحد الأركان ، فى وضع رأسى تقريبا . وسط الحيرة الشديدة ، قام بعض الذين حضروا الجنازة بإعادة الأوضاع إلى أصلها ، ورتبوا التوابيت ، ثم أغلقوا المقبرة بإحكام .

كانت عملية الدفن التالية تخص الطفل صمويل بروستار آمين . ومرة ثانية ، عندما فتحت المقبرة ، كانت التوابيت مبعثرة فى أنحاء القبو ، فى حالة من الفوضى الشاملة . . ونفس مشهد الفوضى تم اكتشافه بعد عدة أسابيع عندما أدخل تابوت سام برويستا ، الذى قتله بعض عبيده .

وعندما حان موعد دفن الآنسة توماسينا ، فى ٧ يوليو ١٨١٩ ، كان أعضاء كنيسة المسيح يعلمون جيدًا ما الذى

يتوقعونه داخل القبر . عندما جرى فتح الأقفال المحكمة للباب ، كانت التوابيت المعدنية فى حالة كاملة من الفوضى . وكان التابوت الخشبى الذى يضم بقايا السيد جودار قد تحطم ، مما اقتضى حزمه بعدة أربطة قبل إعادته إلى القبو ، بجوار تابوت الآنسة كلارك .

تجمع حشد كبيره فى ساحة الكنيسة ، بدافع الفضول أكثر من الحزن ، وحضر أيضًا لورد كومبرمير حاكم باربادوس ليعاين المشهد بنفسه . وكانت الشائعات والشكوك منتشرة فى كل مكان . أصحاب المزارع اتهموا الزنوج بالاعتداء على حرمات الأسياد . أما الأهالى المحليون فاعتقدوا أن ما يحدث هو بالتأكيد من فعل « جابييز » و«دابييز» ، وهما من الشياطين المحلية التى يخافها الأهالى .

نتيجة لهذا كله ، تولى الحاكم بنفسه الإشراف على الاحتياطات الواجبة . وبحث بدقة ، ولكن دون جدوى ، عن أنفاق خفية أو مداخل غير مرئية . تم تنظيم التوابيت بعناية وترتيب ، أما اللوح الذى يغلق القبو فقد تم تثبيته

فى مكانه بالأسمنت . وقام الحاكم بعمل عدة « علامات سرية » ، لكى يتعرف منها على أى عبث فى المستقبل .

الفوضــى الوقحــة

عندما حل موعد إدخال تابوت جديد فى ١٨ ابريل ١٨٢٠ ، بعد عشرة أشهر ، كان أهل الجزيرة فى أعلى درجات التحفز والترقب ، ليروا ما يمكن أن يكون قد حدث فى القبو .

أصر لورد كومبرمير على حضور فتح القبر بصحبة بعض الأصدقاء من بينهم ناثان لوكاس ، جد الكاتب الإنجليزى الشهير تشارلز كنجيزلى ، وقام بتسجيل ما حدث قائلاً :

أخذنا معنا ثمانية رجال ، وتوجهنا مباشرة إلى ساحة الكنيسة لنفتح القبو ، وأرسلنا فى طلب القس توماس أوردرسون ، الذى ما لبث أن حضر . . وكنت مع القس وروبرت كلارك ورولون كوتون حاضرين طوال الوقت .

عنـدمـا وصلنـا إلى القبـــو ، كـان كل شىء سليما من الخارج . . لم يمسس أحد نبتة حشـائش أو قطعة حجر . لكن فى الداخل كـان الأمر مختلفا للغـاية . أظهر مـا جور فينك رسما تخطيطيا ، كان قد قام به قبل إغلاق القبو فى ٧ يوليو ١٨١٩ ، عند دفن توماسينا كلارك . إلى اليسار كان تابـوت دوركاس تشيس إلى جوار والـدها تـوماس تشيس وصمـويل بريـوستـار ، أما تـابـوت الطفلة آميس فكـان موضوعا فوق تابـوت دوركاس ، بينما التابوت الذى يحتوى رفات مارى آن تشيس وتوماسينـا كلارك ، فقد وضع فوق غطاءى التابوتين المجاورين .

لكن الذى شـاهدناه عنـد فتح القبو يعكس نـوعا من الفوضى الوقحة ، بقى تابـوت توماس تشيس فى مكانه . وفيما عدا ذلك أزيحت جميع التوابيت من أماكنها ، وتركت متراكمة فوق بعضها دون نظام .

يقـول السيد لـوكـاس الـذى كتب هـذا التقريـر ، إن الخداع أو التـواطـؤ كـان مستحيـلاً . وقـد أكـد القس أوردرسـون أن القبـو كـان بعيـدًا عن أيـدى العـابثين .

«فالمدخل الهابط ، المؤدى إليه ، كانت تغطيه كتلة كبيرة من رخام دو فنشاير الأزرق ، تحتاج إلى عدة ساعات لازاحتها وإعادتها ثانية إلى مكانها الصحيح . كما أن الأمر يحتاج ــ على الأقل ــ إلى أربعة رجال أشداء لتحريك الحجر. . » .

بعد هذه الزيارة ، أيقن الجميع أن عائلة تشيس قد لقيت ما فيه الكفاية ، فتم إخراج التوابيت من القبو المزعج ، ودفنت مستقلة ، لترقد فى سلام كانت قد افتقدته طويلاً .

ذراع مشيرة إلى السقف !

ورغم أن هذه هى أشهر وقائع تحرك التوابيت ، إلا أنها ليست الوحيدة .

فى عام ١٨٧١ . حكى ديل أوين فى كتاب « وقع أقدام عند حدود العالم الآخر » ، حكاية غريبة كان قد سمعها من أحد معارفه البارون جولد نشتوب ، حول

مـاجرى فى مقبرة بجـزيرة أوسيـل . قال إن الأهـالى كانـوا يسمعون أصـواتا مروعة صـادرة من الكنسية الصغيرة التى بها . وحكى أصحـاب الخيـول أن خيـولهم كـانت تثـور وتتصبب عرقـا عند سماعها هذه الأصـوات ، مما قاد ذات مرة إلى وفـاة أحد ركـاب الخيل . ويقال إن ذلك بـدأ عند دفن أحد النبلاء المحليين . يحكى أوين القصة فيقول :

أثنـاء التلاوات التى تمت فى الكنيسـة لخدمة المتـوفى . سمع من أسفل الكنيسـة ما يشبـه الأنين ، وغير ذلك من الضوضاء الغـريبة . أثار ذلك رعبا شديـدًا لدى القائمين على مراسم الصـلاة . وعندمـا تشجع بعض الحاضرين . وهبطوا إلى القبو الكائن تحت الكنيسة ، وجدوا لدهشتهم التى لاحـد لها ، أن جميع التوابيت التى كـانت مـرصوصـة بنظـام دقيق جنبـا إلى جنب ، قـد تكـومت فى حـالـة من الفوضى .

عندما تكـرر حدوث ذلك . تم تعيين بعثة للتحقيق . وضع أعضـاء هـذه البعثـة الأقفال على بـاب القبـو ، كما وضعـوا الأختـام لضمان عـدم العبث بـالبـاب . ثم نشروا

الرماد على الأرض ، ليكشف آثار أى أقدام ، وعينوا حارسًا خارج القبو . وبعد ثلاثة أيام عادت البعثة إلى الموقع :

« وجدت الأبواب والاقفال فى مكانها ، والاختام لم يعبث بها أحد . وكان سطح الرماد ناعمًا ، لم تطأه قدم . هبطوا الدرج ، وبقلوب واجفة تطلعوا إلى المشهد الماثل أمامهم . كانت جميع التوابيت قد تغير مكانها ، فيما عدا التوابيت الثلاثة التى لم تتحرك فى المرة السابقة . كانت بعض التوابيت تقف فى وضع رأسى رغم ثقلها . وكان غطاء أحد التوابيت مفتوحًا بشكل جزئى ، وبرزت منه ذراع المتوفى حتى المرفق ، مشيرة إلى سقف القبو ! » . .

عش غراب يرفع الصخر

ظهرت عدة نظريات فى محاولات الوصول إلى تفسير لظاهرة التوابيت المتحركة . إحدى هذه النظريات تقول إن الغازات الصادرة من الأجسام المتحللة ، قد تكون هى

السبب فى حركة التوابيت . لكن ، لماذا يحدث هذا مع قلة من التوابيت وليس كلها ؟

كذلك فكر البعض فى أن حركة التوابيت قد تكون نتيجة لنمو عش الغراب الضخم . وهم يقولون « نحن نعلم أن القوة المحدثة للظاهرة يجب أن تكون قادرة على رفع أثقال كبيرة . إلا أن العلماء قالوا إن عش الغراب الدائرى الضخم ، الذى يصل قطره إلى ما يزيد عن ستة أمتار ، ينمو فى كهوف هنداروس . ورغم أن ذلك النوع من عش الغراب يرتكز على ساق أشبه بالخيط ، إلا أن بإمكانه رفع صخور كبيرة . وعندما ينضج هذا النوع من عش الغراب تنفجر الدائرة فى ضجيج واضح ، متحولة إلى مسحوق . والرياح المواتية يمكن أن تحمل بذوره بعيدًا ، وربما إلى باربادوس » .

ولا شك أن أكثر النظريات شعبية ، هى أن التوابيت تتحرك بفعل رشح المياه ، التى يمكن أن تكون قد جفت عند فتح المقبرة . لكن ناثان لوكاس الذى سجل واقعة باربادوس يقول متشككا «لماذا تبقى التوابيت الخشبية فى

مكانها ، مع أن الخشب مفروض فيه أن يطفو قبل غيره ؟ . لم يكن هناك أى أثر لمياه متسربة فى القبو ، ، كما أن القبو كان فى الأرض المستوية لساحة الكنيسة ، وليس فى مسقط لمياه الأمطار . . والأكثر من هذا أن ساحة الكنيسة تقع فوق قمة تل » .

الأبحاث الحديثة فى الظاهرة نتجت عنها عدة نظريات . فى السبعينيات ، قامت السيدة ايريس أوين . من مؤسسة الآفاق الجديدة للأبحاث ، بتورنتو فى كندا . برحلة إلى باربادوس ، وزارت قبو عائلة تشيس . وقاد البحث الدقيق للقبو إلى احتمالين . أولا ، كانت هناك على امتداد الحائط الخلفى للقبو ماسورة حديدية قديمة صدئة ، يبدو أنها جزء من التصميم الأصلى للقبر . إذا كانت هذه الماسورة فى مكانها منذ بدايات القرن ١٩ . يمكن أن تكون قد سربت الماء إلى القبو ، خلال العواصف المطرة .

الشىء الثانى الذى لاحظته السيدة أوين ، هو أن القبر قريب جدا من حائط ساحة الكنيسة ، « ومن ثم

كان من السهل ـ نسبيًا ـ خلع بعض القوالب الحجرية من حائط الساحة ، وحفر بضع سنتيمترات فى التربة . للوصول إلى خلفية القبو . وكان قد نشر أن السيد تشيس الكبير كان قاسيا بلا مشاعر . والأرجح أن قسوته هذه انصبت بصفة خاصة على عبيده . وساحة الكنيسة تقع بعيدًا عن الشارع الرئيسى ، حتى يومنا هذا . وفى المساء . لابد أن يكون المكان هادئًا مهجورًا ، مما يتيح لمن يريد أن يقتحم القبو أن يفعل ذلك دون إزعاج من أحد .

وهذا يعنى أن الأمر قد يكون نوعا من الانتقام . لإخافة أى سيد يتسم بالقسوة وعدم مراعاة مشاعر الآخرين .

التحريك بقوة العقل

الكلام كثير ، والنظريات كثيرة ، ومحاولات البحث عن أسباب طبيعية لا تتوقف . لكن مازالت هناك العديد من وقائع الأشباح المشاغبة التى لا يمكن تفسيرها وفقًا

لهذه المسببات الطبيعية . الأمـر الذى يحظى بأكبر قدر من الاتفاق ، هو أن الإجابة عن تساؤلات الأشباح المشاغبة ، تكمن فى مكـان مـا من النفس البشريـة ، وربما الظـروف الصحية التى تؤثر عليها .

ومن بين سبل التفسير التـى أجمع عليهـا العـديـد بحماس، مـا يتصل بما يمكن أن نطلق عليـه « عميل » أو «بـؤرة » الأشباح المشـاغبة . وهـذا يستند إلى وجـود طفل غالبًـا فى مركـز انطلاق الأحداث ، وأن الظـواهر الغـريبة ترتبط بوجوده . وهـذا التفسير يكون مقبولاً لو أن الأطفال والمراهقين يوجـدون فى كل أو معظم الحالات ، لكن واقع الأمر يقول عكس هذا .

ومن بين التفسيرات الأخرى ، أن الأشباح المشاغبة هى نتاج التعاسة أو الإحباط الجنسي ، أو الإحساس بالذنب، خاصة عند المراهقين ، حيث يتحول التعبير عن العواطف إلى قـوة متـلاعبـة يمكن أن تحرك الأشيـاء وتقلب كيـان البيت . إلا أن أحدا لم يـوضح الآلية التى يمكن أن يتم بها هذا .

وهناك احتمال مختلف عن الاحتمالات السابقة ، يشير إلى وجود شخص قريب من موقع النشاط ، يستخدم بشكل لا شعورى قدراته للتحكم فى الأشياء والأجسام اعتمادا على قوة العقل فقط ، هذه القدرة التى يطلق عليها علماء الباراسيكلوجى اسم « سيكوكينيتك » .

وقد عمدت بعض الدراسات الحديثة إلى إحياء نظرية قديمة ، تقول إن الأشباح المشاغبة هى أعراض حالات مرضية مفهومة ، ولكنها غير شائعة . وأشار الباحثون إلى أوجه الشبه الكبيرة بين الظاهرة التى تعزى إلى عميل الأشباح المشاغبة ، وبين أمراض النظام العصبى المركزى .

قد يكون فى هذا تفسير لبعض الحالات ، لكنه لا يكون مقنعا كتفسير عام .

* * *

لم يتغير الوضع كثيراً ، منذ أن أطلق هارى برايس السؤال فى كتابه « هل يمكن أن تفسر ظاهرة الأشباح المشاغبة ؟ » ، قال بعد ذلك « لا . . نحن لا نعلم شيئا .

أيا كان ، عن (لماذا) توجد الأشباح المشاغبة فى مكان ما . وما هى بالضبط ، وكيف نتخلص منها ، أو نستدعيها . . نحن لم نتمكن من تفسير آليات حركتها . ونقلها الأشياء ، وأصواتها ، أو كيف تتمكن من إشعال النار أو إطلاق الماء ؟ . . إننا لا نعلم من أين تأتى بالطاقة التى تتيح لها تحريك الأشياء ، والأشياء الثقيلة فى معظم الأحيان . . وكيف تصل ببعض الأفراد إلى حالة الهلوسة التى تجعلهم يعتقدون أنهم يرون أشياء خاصة أو يسمعون أصواتًا معينة ، بينما لا يسمع ولا يرى شيئًا الآخرون الموجودون فى نفس المكان . . » .

هذه التساؤلات لا تجد إجابات مقنعة لها حتى الآن . . لكن البحث العلمى فى الظاهرة لم يتوقف .

غـرائب
أخـرى

التنّين .. الذى ابتلع الشمسْ

ذات يـوم من عـام ٢١٣٦ قبـل الميـلاد ، حـاول تنين جــوعـان أن يأكل الشمــس . . فشـاع الــرعب فى قلب أمبراطور الصين ، وقلوب أبناء شعبه .

بـدأ الأمـر بـالتهـام قضمـة صغيرة من أحـد جوانب الشمس ، ثم اختفـى ربع الشمس ، ثم نصفهـــا . . . وفجأة اختفت الشمس بأكملهـا ، فلم يبق منهـا سـوى دائرة غريبـة من الضوء الأبيض ، حـول الفراغ الـذى كان قرص الشمس يحتله ! . .

خاف الصينيون ، ولكنهم كانوا يختزنون رصيدًا كبيرًا من الحكمة ، لذلك عرفوا ما الذى يجب عليهم أن يفعلوه، فى مواجهة هذه المحنة .

اخذوا يدورن عدوا فى حلقات ، على ضوء ما تبقى من الشمس ، يصيحـــون ويصرخـــون ، ويلعنـــون ذلك التنين . . أخذوا يقرعون على كل شىء ، الطبول والصوانى النحاسية ونماذج خشبية جوفاء لطيور البط . . حتى تحرك التنين الذى أصابه الذعر نتيجة لهذا الذى يحدث ، مبتعدًا عن الشمس التى لم يتح له أن يبتلعها . .

وهكذا . . تم إنقاذ الشمس .

إلا أن الإمبراطور الذى صار الآن غاضبًـا أكثر من كونه خـائفًـا ، فقـد أمـر بقطع رأس الفلكيين الإمبراطـوريين «هسى » و « هـو » ، لفشلهما فى إنذاره بـاقتراب التنين من الشمس .

* * *

ما جرى حينئذ فى الصين ، كان كسوفًا كليًا للشمس . وكـانـت جـريمـة « هسى » و « هـو » هى أنهما كفلكيين محترفين ، كـان من الواجب أن يعـرفا مسبقًـا موعـد ذلك الكسوف .

ومما هو معروف الآن ، ولم يكن يعرفه إمبراطور الصين .
أن كسوف الشمس يحدث عندما يتحرك القمر حول الأرض ، وتتحرك الأرض حول الشمس ، يأتى وقت من الأوقات تصطف فيه هذه الأجرام السماوية الثلاثة فى خط واحد ، بحيث يحجب القمر ضوء الشمس عن الأرض . لمدة قد تصل إلى سبع دقائق ونصف .

الخنفساء الحانوتي

من المخلوقات ذات العادات الغريبة ، خنفساء لونها أسود وبرتقالى، اسمها « نكرو فوراس » اسمها مشتق من كلمة « نكروفيليا » ، التى تعنى الانجذاب المرضى إلى الجثث . عندما يموت كائن من الكائنات الصغيرة ، تجذب الرائحة الخنفساء الذكر، فيستلقي على ظهره تحت الجثة ، ويمضى بها إلى مكان مناسب . ثم يحفر بمساعدة أنثاه حفرة صغيرة تسمح بأن تغطس فيها الجثة . وهما يستعملان فراء الجثة لكي تضع فيه الأنثى بيضها . عندما يفقس البيض ، يتغذى الصغار على بقايا الجثة ، حتى يشبوا ويواصلوا مهمة دفن الأموات .

كاستانيدا .. البرازيلي الغامض

كارلوس كاستانيدا . .

هـذا هـو الاسم الـذى اختـاره لنفسـه أحـد علماء الأجنـاس ، والمؤلف الـذى اكتسبـت كتبه شهـرة واسعـة وحققت لـه أمـوالاً كثيرة ، فيما بين عـامى ١٩٦٨ ، ١٩٧٤ . من أهم هـذه الكتب ، أربعة تـدور حول « دون جوان » . وهـو ليس العاشق الشهير ، ولكنـه من السحرة الشعبيين . ينتسب إلى « الياكى » من الهنود الذين يقطنون أمـريكا الـوسطى ، ويعيش فى شمال غـرب المكسيك . . ويعتبر «دون جـوان » من كبار السحـرة الـذين يطلق على الواحد منهم اسم « بروجو » .

فى كتبه واسعة الانتشار ، يحكى كاستانيدا كيف التقى بدون جوان ، الساحر الهندى العجوز ، وكيف تتلمذ على

يديـه ، وكيف جرب خلال ذلـك استخدام ثلاثـة عقاقير من المتداولة بين السحرة ، وكيف تعلم أن يستقبل إشارات العالم الخارجي بجسده كله ، وليس فقط بعينيه وبعقله .

هذه الخبرات التي استمدهـا على مدى عشر سنوات . ساعـدته في الحصـول على درجـة الـدكتـوراه في علم الأجناس، وجعلت منه مليونيرا ، وحـولته إلى بطل عقيدة ينجذب إليها الشباب .

وكتبـه التي تلقى تقـريظًـا واسعًـا ، بـاعتبـارهـا من الكـلاسيكيات ، والتي وجـدت من يدينهـا بالتـزييف ، تتنـوع عنـاوينهـا بين : تعليمات دون جـوان ، والـواقع المنفصل ، ودروس دون جوان ، وحكايـات القوة . . وقد صدر آخر هـذه السلسلة من الكتب في عام ١٩٧٤ . إلا أن الطبعات الجديـدة لهذه الكتب ما زالت تظهر تبـاعًا . عامًا بعد عام .

اللقـاء الأول ..

كا ستـانيدا . . رجل الغمـوض ، لم يعرف أحـد حتى الآن اسمـه الحقيقي . كل مـا نعـرفـه ، هـو أنـه ولـد في

ساوباولو بالبرازيل ، فى يوم الكريسماس من عام ١٩٣٥ .
وقد تعلم أن يجيد التكلم بـالبرتغالية والإيطاليـة والاسبانية
والإنجليزية .

وفى عام ١٩٥١ ، انتقل كاستانيدا إلى الولايات المتحدة
الأمـريكية . . وبعـد انتقـالـه هذا بثمانى سنـوات ، اتخذ
لنفسه اسم كاستانيدا .

فى عـام ١٩٦٠ ، عنـدمـا كان طـالبًـا ، يـدرس علم
الأجناس فى جامعـة كاليفورنيا ، بلوس انجلـوس ، سافر
إلى اريزونـا لكى يـدرس استخدامـات النباتـات الطبية .
لهنود الجنـوب الغربى . وهـو يقول إنـه ـ وهـوفى الخامسة
والعشرين من عمره ـ التقى هناك فى مدينة حدودية متربة .
بهندى فى التاسعـة والستين من عمره ، كـان قد نـزح من
المكسيك إلى اريزونا .

شعـر الشـاب الجامعى بـانبهار شـديـد ، وإعجـاب
قوى . فى مواجهة حكمة ذلك الرجل ذى الشعر الأبيض ،
فداوم على زيارته ، بشكل منتظم .

منقذ أرواح وساحر !

بعـد عـام من هـذا ، وثق دون جوان بكـاستـانيـدا . فكشف لـه عن حقيقته بـاعتبـاره « بروجـو » ، أى طبيب شعبى ومنقذ أرواح ، وساحر .

وفى عام ١٩٦١ ، أصبح كاستانيـدا تلميذا للساحر . راح يستمع إلى مـا يقـولـه الـرجل العجـوز ، ويسجل ملاحظاته . . وأبدى كاستانيدا استعداده لتعاطى العقاقير التى يستخدمهـا الشامان (السـاحر الشعبـى) ، للوصول إلى التجلى .

وتحت تأثير عقـاقير الهلـوسة هـذه ، ومع الاستجـابـة لإرشادات معلمه ، يحكى كاستـانيدا أنه شعر بتغيرات فى إدراكـه ، وراح يرى أغـرب الرؤى ، ويستمع إلى أصـوات تشيع الرعب فى النفس ، ، ويحس بالأرض تهتز من تحته . أو يجد نفسه محلقا فى الفضاء ، أو يكتشف أنه أصبح قادرًا على إجـراء حديث مـع الذئاب . . شعـر كـاستانيـدا أن أفكاره مـوجودة خارجـه . . لكنه يقـول إنه لا يستطيع أن يؤكد بثقة أن كل ذلك حدث « حقيقة » .

ومع كثرة من هـاجموا كاستانيدا ، إلا أنه حظـى بدفاع عالم أجناس آخـر شهير عنه ، هوبول رايـزمان ، من كلية كـارلتون ، الـذى قال عن كتب كـاستانيـدا « . . من بين أفضل الكتب التى قدمها علـم الأجناس » .

سـواء كـانت كتبـه تعكس حقيقـة واقعـة ، أو خيـالا خاصا به ، إلا أن تلك التى كتبها عن دورن جوان ، تعتبر فى أنحـاء العـالم من أكثر الكتـب توزيعًـا ، وأفضلهـا من حيث تسجيل رؤية الشامان للعالم الواقعى .

القهوة وملك السويد

كان جـوستاف الثالث ملـك السويد يعتقـد أن القهوة سامة . لإثبـات نظريته حكم على قاتل بشرب القهـوة يوميًا حتى مماته . وللمقارنة ، حكم على قاتل آخر بشرب الشاى كل يـوم . وعين الملك طبيبين لـلإشراف على التجـربـة . ولمعرفة من الذى يموت أولاً .

كان الطبيبـان هما أول من مات ، ثم اغتيل الملـك عام ١٧٩٢ ، وبعد ذلك بأيـام عديـدة مات القاتل الـذى كان يشرب الشاى ، من عمر يناهز ٨٣ عاما ! .

« بيوريزم » ..
أو الإيقاع الحيوى للإنسان

تقول نظرية « البيوريزم » ، أو الإيقاع الحيوى إن حالة الإنسان الجسدية والعاطفية والعقلية ، تمر بتغيرات إيجابية وسلبيـة ، فى دورات منتظمـة يمكن حسـابها . . فيعـرف الإنسان متى يكون قـادرًا على أداء الأعمال البدنية على خير وجه ، ومتى يكون موفقًا فى علاقاته العاطفية أو الشعورية بالآخـرين ، والوقت الـذى يكون فيه قـادرًا على التصدى للعمل العقلى ، على أفضل صورة .

ووفقًا لتفاصيل هذه النظرية وحساباتها ، يكون بإمكان الإنسان أن يحدد الوقت الذى يقـوم فيه بنشاط جسدى أو عــاطفى أو عقلى ، بحيث يحقـق أفضل النتــائج . وعن

طريق حسابات دورات الإيقاع الحيوى ، يستطيع الإنسان أن يعرف حالته فى يوم معين ، من النواحى الثلاث .

تقول هذه النظرية إن الدورات الحيوية الثلاث ، تبدأ ساعة ولادة الشخص ، لكنها تختلف فى المدى الزمنى لكل دورة .

الدورة الشعورية أو العاطفية تستمر لمدة ٢٨ يومًا . الأيام الأربعة عشر الأولى منها تكون فى الجانب العلوى الإيجابى ، ثم تمر بخط الأساس الأوسط ، لتبدأ ١٤ يومًا جديدًا تقع كلها أسفل خط الأساس فى الجانب السلبى .

أما الدورة البدنية أو الجسدية فمدتها ٢٣ يومًا ، ٥ , ١١ يوم منها إيجابية ، ومثلها سلبية .

أما الدورة العقلية فتستمر لمدة ٣٣ يومًا ، نصف هذه الدورة (٥ , ١٦ يوم) فى الجانب الإيجابى ، ونصفها الآخر فى الجانب السلبى .

والأيام الحرجة هى التى تنتقل فيها أى دورة من الجانب السلبى إلى الإيجابى ، أو العكس .

ماذا تفعل ؟ ومتى تفعله ؟

الأيام الموجبة فى الدورة البدنية ، تصلح فيها النشاطات التى تحتاج قوة وجهدًا ، أما الأيام السلبية فيفضل أن تترك لها الأعمال التى تتطلب استنزافًا أقل للجهد .

والأيام الموجبـة فى الدورة الشعوريـة أو العاطفيـة تتميز بـالبهجة ، والقـابليـة للتعـاون مع الآخريـن . أما الأيـام السلبية ، فيكـون الشخص فيها أميل إلى المزاج المتقلب . وإلى المواقف السلبية .

كذلك ، الأيـام الموجبة فى الدورة العقلية تكـون سبيلاً أفضل إلى الابتكار ، والمتابعة العقلية من الأيام السلبية .

الأيـــام الحرجـــة

اليوم الحرج فى الـدورة البدنيـة ، يفترض فيه أن يكـون بالذات يـوم التعرض للحوادث ، أكثر مـن أى يوم آخر . واليوم الحرج فى الـدورة العاطفية يكـون الشخص فيه أميل

للوقوع فى صدامات واضطرابات عاطفية . أما اليوم الحرج فى الدورة العقلية ، فلا يكون بالضرورة خطيرًا .

فإذا اجتمع فى يوم واحد ، اليوم الحرج بالنسبة لدورتين معًا ، وهو ما يطلق عليه « اليوم الحرج المزدوج » ، فمعنى هذا ضرورة الحرص الشديد ، لتفادى الأخطار . وهذا يحدث ٦ مرات فى السنة تقريبًا . أما « اليوم الحرج الثلاثى» فيحدث مرة واحدة فى السنة .

يوم وصول الدورة إلى القمة أو إلى الحضيض ، يكون خطيرًا ، لو تصادف مع يوم حرج فى أى من الدورتين الأخريين .

ويمكنك أن تحسب دورات حياتك ، عن طريق حساب عدد الأيام التى مرت منذ مولدك ، مع ضرورة إضافة يوم كل سنة كبيسة . اقسم ذلك الرقم على عدد أيام كل دورة من الدورات ، خارج القسمة سيكون هو عدد الأيام التى مرت منذ أقرب بداية لهذه الدورة .

بـدايـة الـدورة تكـون عنـد خط الـوسط بين الإيجابى والسلبى . وكل دورة تبدأ بالصعود .

بهذه الطريقة ، يمكنك أن تتوصل إلى موقع أى يوم من الدورات الثلاث .

كمبيوتر وآلات حاسبة

انصار نظرية البيـوريزم ، والمتحمسين لها ، ينظرون إلى كل من دكتـور هيرمـان سفوبـودا ، الـذى كان استـاذًا فى جـامعـة فيينـا ، وولهيلم فلييـس الطبـيب البرلينى . بـاعتبـارهما مـؤسسى النظـريـة . فإليهما يعـود الفضل فى اكتشاف الـدورة البدنية (٢٣ يـومًا) ، والدورة العـاطفية (٢٨ يومًا) .

أمـا الـدورة العقليـة (٣٣ يـومًـا) فيعـود الفضل فى اكتشافها إلى الفريد تيلتشار ، وهو مهندس نمساوى .

ورغم أن العلماء الجادين قد تجاهلوا نظـرية البيوريزم . إلا أنها تحظى بقبول واسع بين جماهير عديدة .

وفى أواخـر عـام ١٩٧٥ ، وصل عـدد اليـابـانيين من رجال الأعمال الذين يعتمـدون على البيوريـزم فى حياتهم . ٢٠٠٠ شخص . وكانـوا يعتمدون عليه ـــ بالتحديـد ـ فى خفض معدل حوادث العمل بين العمال والعاملين .

وقامت شركة يونيتيد الأمـريكية للطيران بوضع كمبيوتر لخدمة العاملين فيهـا ، والذين يهتمون بحسـاب البيوريزم الخاص بهم . كما أن الكتب والآلات الحاسبـة التى تتصل بحساب دورات البيوريزم ، تشيع وتحقق مبيعات عالية .

أنوريكسيا نيرفوزا..
مرض أم عرض؟

انوريكسيا نيرفوزا ، هو الاسم الذى يطلق على حالة امتناع الإنسان - بإرادته - عن الطعام مما يعتبر عرضًا من أعراض المرض النفسى .

تم اكتشاف هذه الحالة لأول مرة على يد سير وليام جول ، فى عام ١٨٦٨ . واكتسب اسم أنوريكسيا نيرفوزا عام ١٨٧٤ . وهذا الخلل يصيب حوالى خمسة أشخاص من بين كل مائة ألف أمريكى . والمصابون به ، معظمهم - فيما عدا قلة نادرة - من النساء . وهذا الخلل لا يرتبط بأى خلل جسدى ، يمكن عن طريقه تفسير فقدان الشهية المصاحب له .

ويبدأ رفض تناول الطعام عادة ما بين العاشرة والخامسة عشرة . ونتيجة لذلك ، ينخفض الوزن إلى نصف الوزن العادى . ومن بين الأعراض المصاحبة : تنوع فى متاعب الجهاز الهضمى ، والتقيؤ الإرادى أو العشوائى . وانقطاع الدورة الشهرية .

المصابون بهذا الخلل ـــ على العكس من ضحايا المجاعات ـــ لا يشعرون بالجوع ، إلا أنهم يكونون قادرين على القيام بالنشاطات اليومية ، على مستوى قريب من العادى . وهم لا يبدون اهتمامًا بحالتهم . ومن بين نسبة ٥ فى المائة هذه ، يموت ١٥ فى المائة ، نتيجة عدم تناول الطعام .

حالة احتجاج اجتماعى

ولما كان معظم الناس الذين يرفضون تناول الطعام . يفعلون ذلك لعدد من الأسباب المتنوعة ، لذا حدث اتفاق بين الأطباء على أن أنوريكسيا نيرفوزا ، يمكن فهمها جيدًا كعرض وليس كمرض .

معظم المصابين بهذا الخلل ، يرجعون فقدان شهيتهم إلى رغبة ملحة قوية فى تجنب السمنة ، بينما يقول عدد محدود منهم إنهم لا يأكلون لأنهم يخافون من الطعام ، أو من عملية الأكل نفسها ، ومنذ عهد قريب ، بدأت حركة لإعادة النظر فى تناول العلاج الطبيعى النفسى التقليدى لحالة الذين يشكون من انوريكسيا نيرفوزا ، وغير ذلك من الأمراض العقلية الشائعة بين النساء ، نتيجة للوعى المتزايد بالأدوار التى تفرضها البيئة الاجتماعية عليهم .

والذين يتبنون قضية المرأة من الأطباء النفسيين . يميلون إلى الاعتقاد بأن الأسلم ، هو النظر إلى فقدان الشهية عند الفتيات ، كنوع من الاحتجاج الاجتماعى . أكثر من النظر إليه كمرض . وهم يلاحظون أن الفتيات اللاتى يعانين من هذا العرض ، عادة ما تتوقف لديهن الدورة الشهرية ، أو لا تبدأ أصلاً . ويجمع بينهن جميعًا ، أنهن لا يبدين اهتمامًا بالحالة .

علاج هـذه الحالة ، كـان ناجحًا بـالنسبة للعـديد من الذين يعانون منها . وهذا لا يمنع أن بعضهم يميل إلى أن يصاب بعدوى عارضة ، أو بمرض عقلى مزمن .

والمعروف ، أن ايـداع صاحب أو صاحبـة هذا الخلل المستشفى فى مــرحلـة مبكـرة ، يعطى أفضـل النتـائج . ولكن، يجب أن تعطى للطبيب صلاحيـات كاملـة للقيام بالعلاج الفعال .

واستشـــارة الطبيب النفسى ، منصـــوح بها فى جميع الحالات ، وتكـون ضروريـة للغـايـة فى بعض الحالات . خاصة تلك التى يفشل فيهـا النظام الغذائى المفروض على الشخص .

ظهر فى سلسلة « أغرب من الخيال »

سر الأطباق الطائرة
النبات يحب ويتألم
الهرم وسر قواه الخفية
رجل يعرف كل الأسرار
٣٠ ظاهرة خارقة
لعنة الفراعنة
عجائب بلا تفسير
تفسير الأحلام والتنجيم
التخاطر والسحر واليوجا
الخروج من الجسد
أحلام اليوم حقائق الغد
عجائب العقل البشرى
هذا الغد العجيب
أسرار حيرت العلماء
معجزات العلاج
العالم سنة ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ١٨٥٦/ ٩٥

الترقيم الدولي ‎I.S.B.N. 977 - 09 - 0269 -1‎

مطابع الشروق

القاهرة، ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤

بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣